الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

النزوع الإصلاحي في خطبة "الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي" لمحمد البشير الإبراهيمي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالب(ة):
* آمنة ديب
* ياسمينة غراز

إشراف الأستاذ:
* عاشور توامة

السنة الجامعية: **2014/2013**

بسم الله الرحمن الرحيم

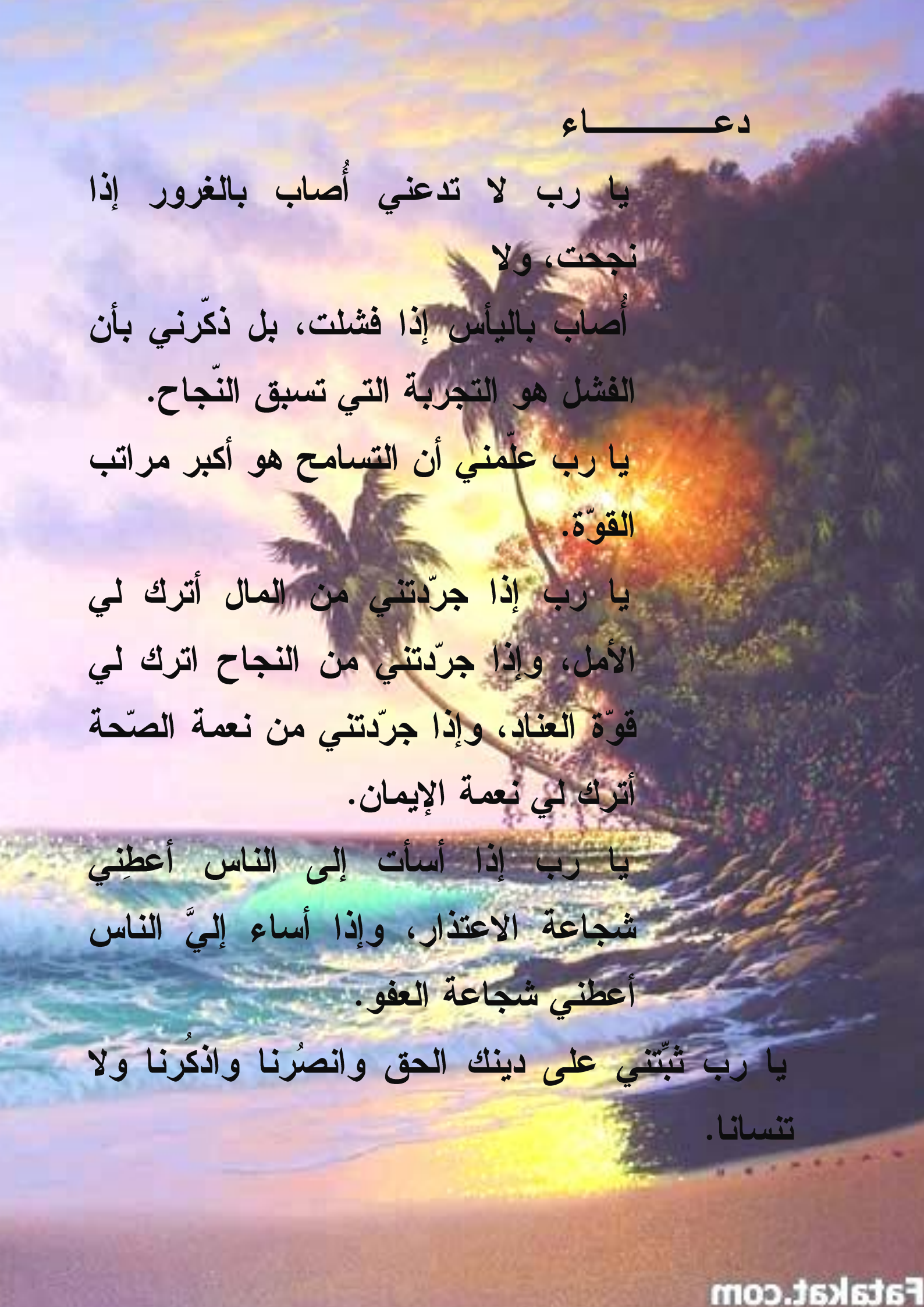

دعـــــــاء

يا رب لا تدعني أُصاب بالغرور إذا نجحت، ولا
أُصاب باليأس إذا فشلت، بل ذكّرني بأن الفشل هو التجربة التي تسبق النّجاح.
يا رب علّمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوّة.
يا رب إذا جرّدتني من المال أترك لي الأمل، وإذا جرّدتني من النجاح اترك لي قوّة العناد، وإذا جرّدتني من نعمة الصّحة أترك لي نعمة الإيمان.
يا رب إذا أسأت إلى الناس أعطِني شجاعة الاعتذار، وإذا أساء إليَّ الناس أعطني شجاعة العفو.
يا رب ثبّتني على دينك الحق وانصُرنا واذكُرنا ولا تنسانا.

Fatakat.com

تشكر

نتقدم بالشكر الجزيل و الاحترام الكبير و بالكثير من التقدير

إلى الأستاذ المشرف "عاشور توامة" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته

القيمة و نصائحه الهادفة و أفكاره الذهبية في سبيل إنجاز هذه

المذكرة.

و في الأخير نحمد الله الذي وفّقنا لإتمام هذا العمل راجين منه عزّوجل

التوفيق فيما هو قادم من الحياة.

مقدمة

مقدمة

في فطرة الإنسان قوة يعقل بها طريق الصّلاح و الفساد، و يفقه بها الحق و الباطل. و لكن هذه القوة العاقلة لا تستقل وحدها بتمييز المعروف من المنكر، و ليس من شأنها أن تطلع على كل حقيقة، ولا أن تدبر أعمال البشر على نظام لا عوج فيه؟، فإنّها قد تنبئ عن الحق، ويغرب عنها وجه المصلحة، ولا تهتدي إلى عاقبة العمل، وربما ألقت على الحسنة نظرة عجلى فتحسبها سيئة، و قد يتراءى لها الشر في شبه من الخير فتتلقّاه بالقبول.

وقد تصدّى رجال أصحاب هذه القوى العاقلة لوطأة الاحتلال الفرنسي وكان تناول البحث بالدراسة أحد الأدباء، و قائد الحركة الإصلاحية في الجزائر خلال القرن الماضي وهو محمد البشير الإبراهيمي، فقد حاولنا دراسة أدبه في شكله النّثري الذي سخره لمعالجة مختلف القضايا المتعلقة بالمجتمع الجزائري و الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية، كما اتخذه أداة لمواجهة الاستعمار و وسيلة لنشر الوعي و ايقاظ الضمائر.

ولعلّ سبب اختيارنا للبحث في هذا الموضوع دون غيره هو قلّة العناية بأدب الإبراهيمي و البحث فيه، فحسب الدراسات قد ترك آثارا جديرة بالدّراسة نظرا لقيمتها البالغة في خدمة الأدب و المجتمع الجزائري.

أمّا المنهج الذي اتبعناه هو المنهج التاريخي وقد استفدنا من معطياته الذي تمّ بواسطته تتبّع واستقصاء مراحل حياته و تطوّرات إصلاحاته كما استفدنا من معطيات المنهج الوصفي التّحليلي في توصيف وتحليل خطبته الموسومة "الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي"، و قد اعتمدنا على مصادر و مراجع عديدة توزعت بين كتب الأدب و التاريخ نذكر أهمها: "آثار محمد البشير الإبراهيمي" ،والمكونة من خمسة أجزاء، جمعها و حققها أحمد طالب الإبراهيمي و"البشير الإبراهيمي أديبا" لمحمد عباس ومختلف المراجع المتعددة والجرائد والمجلات.

ولتحقيق الهدف الذي توخّيناه من هذا البحث اعتمدنا على تشكيل وهندسة خطّة مكونة من مقدمة ومدخل وفصلين، فصل نظري وفصل تطبيقي و خاتمة، في المدخل تحدثنا عن جهود جمعية العلماء المسلمين في الإصلاح، بينما تناولنا في الفصل الأول محمد البشير الإبراهيمي و فكره الإصلاحي قسمناه إلى مبحثين مبحث أول تضمن نبذة من حياة محمد البشير الإبراهيمي: اسمه، نسبه، مولده، حياته الدّراسية والعلمية، شخصيته ومكانته العلمية، وفاته وآثاره أما المبحث الثاني النّزوع الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي

تناولنا فيه دواعي النزوع الإصلاحي عند الإبراهيمي في نثره فحصرنا اهتمامنا على فني الخطابة و المقالة.

بينما خصصنا الفصل الثاني أهم القضايا الإصلاحية في خطبة "الاصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي" وقمنا بدراستها وتحليلها و مناقشتها، و قد اعتمدنا في دراستنا التطبيقية على دراسة الخطبة دراسة فنية ثم تحدثنا عن أسلوبه في الخطبة واللغة والتصوير.

وأنهينا بحثنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصّل إليها بعد دراسة أدب الإبراهيمي.

وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهتنا خلال بحثنا هذا والمتمثلة في نقص المصادر و المراجع و الجرائد و المجلات المتضمنة لإصلاحات الإبراهيمي في جامعتنا. هذا ما يجعل التعامل مع الموضوع صعب المنال بالإضافة إلى التنقل والبحث بين الجامعات المجاورة –و بتوفيق من الله– أتممنا هذا العمل المتواضع الذي ما هو إلاّ حصيلة جهد مقل، نرجو أن نكون قد أصبنا في بحثنا هذا و نسأل الله عزّ وجل أن يوفّقنا لحسن القصد.

الفصل الأول

الفصل الأول

البشير الإبراهيمي و فكره الإصلاحي

المبحث الأول: نبذة من حياة محمد البشير الإبراهيمي

المطلب 1: اسمه، نسبه، مولده

المطلب 2: حياته الدراسية و العلمية

2_1: دراسته

2_2: رحلاته

2_3: نشاطه العلمي

المطلب 3: شخصيته و مكانته العلمية

المطلب 4: وفاته و آثاره

المبحث الثاني: النزوع الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي

المطلب 1: دواعي النزوع الإصلاحي عند الإبراهيمي

المطلب 2: أبعاد النزوع الإصلاحي

2_1: البعد الاجتماعي

2_2: البعد السياسي

2_3: البعد الفكري

2_4: البعد الديني

المطلب 3: تجليات النزوع الإصلاحي عند الإبراهيمي في نثره

1- الخطابة

1_1: الخطابة الدينية

1_2: الخطابة الأدبية

1_3: الخطابة السياسية

2-المقالة

2_1: المقالة السياسية

2_2: المقالة الاجتماعية

2_3: المقالة الأدبية

2_4: المقالة الدينية

المبحث الأول: نبذة عن حياة محمد البشير الإبراهيمي

المطلب الأول: اسمه، نسبه، مولده

أ-اسمه و نسبه: هو محمد السعدي بن عمر محمد السعدي بن عبد الله عمر الإبراهيمي وقال مترجما لسيرته: "أنا محمد البشير الإبراهيمي ولدت يوم الخميس عند طلوع الشّمس في الثالث عشر من شهر شوّال سنة ستّة ثلاثمائة وألف، و يوافق الرّابع عشر من يونيو سنة 1889م،...قبيلتنا تعرف بأولاد ابراهم بن يحي بن مساهل و ترفع نسبها إلى إدريس، بن عبد الله..."[1] و قال على هذا النّسب: "وهذا مستفيض بين سكّان الأطلس أوراس، وسفوحه الجنوبيّة إلى التّلال ولأجدادنا كتابات متناقلة عن هذا النّسب"[2].

ب-مولده: ولد في قبيلة ريغة الشهيرة ب "أولاد ابراهم" وهي إحدى قبائل سبع متجاورة في سفوح الأطلس الأكبر الشّمالية المتّصلة بقمم جبال أوراس من الجهة الغربيّة، و كل ذلك واقع في مقاطعة قسنطينة من القطر الجزائري، وتجتمع قبيلته مع هذه القبائل في "يحي بن مساهل" ذي النّسب الشّريف المتواتر بالسّماع الفاشي، والثّابت عند أئمة النسابين أمثال الإمام عبد الرحمان الصباغ البجاوي صاحب كتاب" الفحول المهمّة "، ويقع في نسبه خمسة من العلماء الأجلاّء، عاشوا ما بين المائة التاسعة والمائة الثالثة عشر للهجرة، وكلّهم كتبوا على هذا النّسب وأثبته بالأدلّة التاريخيّة الممكنة، وآخرهم الجد الأدنى الشّيخ عمر الإبراهيمي وله فيه كتاب، وهذا النّسب الشّرفي الذي ورث عدم الاهتمام به من عمه الذي ربّاه و علّمه، وممّا لا شك فيه أنّ نسبه عربيّ صميم[3].

---

[1]- محمد البشير الإبراهيمي:(أنا) مجلة مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ج21 (1386ه-1966م) ص24.

[2]- المصدر السابق، ص135.

[3]- أبو القاسم سعد الله: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في قلب المعركة(1954-1964)شركة الأئمة للطباعة والترجمة والنشر-الجزائر(د.ط)1994م ص89.

المطلب 2: حياته الدّراسيّة والعلميّة

دراســــــــته: نشأ في بيت علمي من البيوت العلميّة الريفيّة في طريقة عيشها، وهي الّتي تقوم دائما على البساطة و الطّهارة في السّلوك و التمسك بالأخلاق الفاضلة والصّحة البدنيّة الجيّدة، كلّ ذلك لبعد أريافه في ذلك العهد عن الحضارة الجليبة و مواقعها من المدن، فلمّا بلغ التّاسعة من عمره أصيبت رجله اليسرى بمرض، وكان للإهمال والبعد عن التّطبيب المنظّم أثر كبير في إصابته بعاهة العرج في رجله، وقد أنساه ألمها والحزن عليها ما كان منكبّا عليه من التهام كتب كاملة بالحفظ ، فكان له بذلك أعظم سلوى على تلك العاهة، وفيما عدا تلك العاهة فهو مدين لتربيته الريفية في كلّ ما تمتّع به إلى الآن من قوى بدنيّة و فكريّة و خُلقيّة.

قام على تربيته وتعليمه من يوم درج عمّه الأصغر الشّيخ محمد المكي الإبراهيمي عالم إقليمه المعروف بوطن " ريغة " وفريد عصره في إتقان علوم اللّسان العربي، وكانت الأسر العلميّة بوطنه قائمة على تقليد قديم متوارث وهو أنّها تقوم بوظيفة المدرسة المعروفة، فيأوي إليها طلاب العلم من كل صرب و صوب، و تتكفل الأسرة بإطعام الغرباء منهم مهما كان عددهم احتسابا، و يقوم علماء الأسرة بتعليمهم دروسا منظّمة على مدار ساعات اليوم، لكتب أغلبها ممّا يدرّس في الأزهر في عهود مضت فيما هو معروف، ومن نوابغها المعروفين الّذين ما زالت أسماءهم على كلّ لسان: الشّيخ محمد الشريف العمري الإبراهيمي والشّيخ المبارك الإبراهيمي، والشّيخ القريشي الإبراهيمي، وكلّ هؤلاء وغيرهم عاشوا في قرون الثلاث الأخيرة[4].

[4]– أبو القاسم سعد الله: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في قلب المعركة، ص89.

رحلاتـــه

- **رحلته إلى مصر1911:**

فيعام1911 شدّ الرّحال مارّا بتونس و ليبيا ثمّ مصر الّتي أقام بها ثلاثة أشهر، فكان لا يختلف عن مجالس العلماء و الأدباء، يشهد له بذلك بعض علمائها في العلوم الشّرعيّة واللّغويّة، ثمّ غادر القاهرة باتّجاه المدينة الّتي وصلها أواخر 1911[5].

- **رحلته إلى الحجاز1911-1916:**

أثناء إقامته بالحجاز لم ينقطع عن حلقات العلم و المعرفة الّتي كانت تقام على يد الشّيوخ الأفاضل هناك فضلا عن جهده المستمر في زيارة المكتبات العامّة والخاصّة باحثا ودارسا،في هذه الفترة وقبل مغادرته الحجاز كان الأستاذ الرّئيس عبد الحميد بن باديس قد سافر إلى البقاع المقدّسة لتأدية فريضة الحج عام 1913 فكان اللّقاء التّاريخي بينهما، ليتم وضع الأسس الأولى لجمعيّة العلماء.

- **رحلته إلى بلاد الشام (1916-1920):**

قامت ثورة شريف حسين بن علي، في أواخر عام 1916، فشدّ الإبراهيمي الرّحال مع أسرته إلى دمشق، أين اختلف إلى علماء سوريا الّذين بلغت شهرتهم مسمعه منهم: الشّيخ عبد الرزاق البيطار، جمال الدين القاسمي وهنا يقول الإبراهيمي: "خرجت من المدينة فيمن خرج إلى دمشق في أخريات ستة عشر ميلادية (1916م) وكنت أتمنّى لوأنّدواعي الخروج كانت تقدّمت ببعض السّنوات، لأدرك الإمامين اللّذين كانت لهما في نفسي مكانة، وهما عبد الرزاق البيطار، وجمال الدين القاسمي، وكنت...-وأنا في

[5]- محمد البشير الإبراهيمي: (أنا) مجلة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون، وحدة الطبع المتعددة، ورشة أحمد زبانة، الجزائر، ع87(1985م) ص15.

المدينة–قرأت للعاصمي عدّة كتب عرفت منها قيمته ومنزلته. وقرأت عن البيطار، وسمعت مادلّني وأدناني منه"[6].

شغل الشيخ منصب تدريس الأساتذة الكبار من بينهم: جميل صليبا و أديب الرماني والمحايري، عدنان الأقاسي، يقول الإبراهيمي: "ويخرج على يدي في ظرف سنة واحدة جماعة من الصّفوف الأولى، هم اليوم في طليعة الصّفوف العاملة في حقل العروبة."[7] وفي عام1920معاد إلى مسقط رأسه في الجزائر، وشرع في حملته الإصلاحية برفقة عبد الحميد بن باديس و الشّيخ العربي التبسي ومبارك الميلي.

وفي ماي1931م أعلن عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين فكان الشّيخ الإبراهيمي واحدا من أبرز روادها: "و يبدوا أنّ الرّجلين، كانا قد اتفقا على خطّة الإصلاح في المدينة المنوّرة، حين قضى ابن باديس هناك ثلاثة أشهر"[8].

و في عام1933م يعدّ توسيع نشاط الجمعية في جهات الوطن الثّلاث، كان الإبراهيمي في الجهة الغربيّة تحديدا في تلمسان، أمّا الشّيخ ابن باديس فعلى الجهة الشّرقيّة و الشّيخ العقبي في وسط العاصمة و في أواخر ديسمبر عام1939م كتب مقال عن نفيه إلى أفلو(ولاية الأغواط)، في مارس 1940م ليطلق سراحه عام1942م فغادر إلى مدينة تلمسان ثمّ إلى العاصمة ليستقرّ هناك رئيسا لجمعيّة العلماء في سنة1943م،أمّا عام1952م فعاد إلى الشّرق: كان الغرض من هذه الرّحلة إصلاحي سياسي معربا عن هذا: "أمّا الغرض الأول: هو مشاركة دعاة الخير في هذا الشّرق فيما يدعون إليه، وأنا أمرها أنّ هذا غرض يجب عليه أن أؤدّيه بنفسي و الثّاني في التّعريف بالجزائر المنسيّة من إخوانها، و دعوة الحكومات الإسلاميّة العربيّة على الخصوص إلى إعانتها في نهضتها الثّقافيّة"[9].

---

[6]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1(1997م)ج1، ص277.

[7]– أبو القاسم سعد الله: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في قلب المعركة، ص93.

[8]– عبد الملك مرتاض: فنون النّثر الأدبي في الجزائر(1931م–1954م)جامعة وهران– ديوان المطبوعات الجامعية– الجزائر (يناير1994م) ص105.

[9]– أبو القاسم سعد الله: نفس المرجع السابق ص97.

نشاطه العلمي

لم يفارق في تعليمه بيت أسرته، فهي مدرسته الّتي تعلّم فيها وعلّم، أخذه عمّه لتربيته وتعليمه منذ أكمل السّنة الثّالثة من عمره، و كان ملازما له حتّى في نومه، فكان لا يخليه دقيقة واحدة من فائدة علميّة، وكانت له طريقة عجيبة في تنويع المواضيع والمحفوظات حتّى لا يملّ، و اختصّ بذاكرة و حافظة خارقتين للعادة، و عرف رحمه الله يودعها فيه، فيحفظ القرآن حفظا متقنا في آخر الثّامنة من عمره، و حفظ ألفيّة ابن مالك وتلخيص المفتاح و ما بلغ العاشرة حتّى كان حافظا عدّة متون علميّة مطوّلة، و ما بلغ الرّابعة عشر حتّى كان حافظا ألفيتي العراقي في الأثر و السّير و نظم الدّول لابن الخطيب ومعظم رسائله المجموعة في كتابه "ريحانة الكتاب"، ومعظم رسائل فحول كتّاب الأندلس كابن شهيد وابن أبي الخصال وأبي المطرف ابن أبي عميرة، و معظم رسائل فحول كتّاب المشرق كالصابي و البديع مع حفظ المعلقات والمفضّليات وشعر المتنبي كلّه وكثير من شعر الشريف الرضي وابن الرومي وأبي تمام البحتري وأبي نواس، كما استظهر كثيرا من شعر الثّلاثة جرير والأخطل والفرزدق، وحفظ كثيرا من كتب اللّغة كاملة كالإصلاح و الفصيح، ومن كتب الأدب كالكامل للمبرد و البيان للجاحظ وأدب الكاتب لابن قتيبة، ولقد حفظ في تلك السّن أسماء الرّجال الذّين ترجم لهم نفح الطّيب وأخبارهم وكثيرا من أشعارهم، وكان يحفظ عشرات الأبيات من سماع واحد ممّا يحقّق ما يقرأه عن سلفنا من غرائب الحفظ و كان يشغله عمّه في ساعات النّهار بالدّروس المرتّبة في كتب القواعد وحده أو مع الطّلبة و يمنحه ساعة من آخر كل يوم في فهم ما قرأ فيطرب لصحّة فهمه، فإذا جاء اللّيل أملى عليه من حفظه –وكان وسطا– أو من كتاب ما يختار له من الأبيات المفردة أو من المقاطيع حتّى يحفظ مائة بيت، فإذا طلب المزيد انتهزه و قال له: إنّ ذهنك يتعب من كثرة المحفوظ كما يتعب بدنك من حمل الأثقال، ثمّ يشرح له ظواهر المعاني الشّعريّة، ثمّ يتركه يخلد للنّوم رحمه الله.

مات عمّه سنة1903م و له من العمر أربعة عشر سنة، و لقد ختم على يديه دراسة بعض الكتب و هو على فراش المرض الّذي مات فيه، و منحه الإجازة المعروفة عامّة، و أوصاه أن يخلفه في التّدريس لزملائه الطّلبة الّذين كان حريصا على نفعهم ففعل ووفّق

الله و أمدّته تلك الحافظة العجيبة فتصدّرت دون سنّ التّصدّر، وأرادت له الأقدار أن يكون شيخا في سنّ الصّبا، و ما أشرف على الشّباب حتّى أصيب بآفة الغرور والإعجاب بالنّفس، فكان لا يرى نفسه تقتصر من غاية حفّاظ اللّغة وغريبها وحفّاظ الأنساب والشّعر، و كاد يهلك بهذه الآفة لولا طبع أدبه مرح كريم، ورحلته إلى الشّرق كان فيها شفاؤه من تلك الآفة[10].

المطلب الثالث: شخصيته و مكانته العلمية

شخصيته: كان الشّيخ الإبراهيمي رجلا عظيما بعقله ووجدانه، بقلبه ولسانه، فالقريب والرّفيق والسّائل والمحروم، وهو الأب الشّفيق والأخ الصّديق الذي لا يبخل بجهده وجاهه وماله، وما تقرّبت منه إلاّ ملك قلبك بحلمه وغمر نفسك بكرمه قبل أن يشغل عقلك بعلمه و يسحرك بقلمه، و كانت الخصال البارزة فيه العلم و الوفاء[11].

كما كان فصيح اللّسان رقيق الجنان جيّد البيان حلوّ الشّمائل، فإذا تحدّث دبر الحديث على شكل يحسّ السّامع أنّه موجّه إليه قبل غيره، و كان إنسانيّا في كلّ معاملاته، وكان يتابع حاجات النّاس ومشاكلهم حتّى تحلّ من غيره غفلة و لا نسيان و كان مطّلعا خبيرا يعرف كنه الأشياء ويصرفها التّصريف الحسن، كان حادّ الطّبع عصبيّ المزاج، كان محبّا للخير حاثّا عليه شديد التّمسّك بدينه يخاف الله ويخشى عقابه، شديد الحبّ لوطنه، متسامح كريم، وقد وصف الشّيخ الإبراهيمي خلال هجرته إلى المشرق العربي بإمام المغرب العربي تارة و بعلاّمة المغرب تارة أخرى[12].

وقد أودع الله فيه من الصّفات نذكر منها ما يلي:

- علما غزيرا فيّاضا متعدّد النّواحي عميق الجذور.
- اطّلاعا واسعا عريضا يخيّل إليك أنّ معلومات الدّنيا قد جمعت عنده.

---

[10]- أبو القاسم سعد الله: الشيخ الإبراهيمي في قلب المعركة، ص94.

[11]- أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص16.

[12]- شكري فيصل: مجلة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون، وحدة الطبع المتعددة، ورشة أحمد زبانة، الجزائر، ع87(1985م)، ص206.

- حافظة ناذرة عن نظيرها و ذاكرة مرنة جعلت صاحبها أشبه ما يكون بالعقل الإلكتروني.

هذا هو البطل الّذي اندفعنا تحت قيادته الموفّقة الملهمة تخوض معارك الحياة الّتي أعادت لشعبها بعد كفاح طويل لسانه الفصيح ودينه الصّحيح و قوميته الواعية الهادفة[13].

مكانته العلمية

يعتبر الإبراهيمي النموذج الأمثل للمثقّف العربي في القرن العشرين، وقد تميّز بشخصيته فذّة، فهو الكاتب القدير والفيلسوف المفكّر، والأديب والخطيب والشاعر والمصلح الاجتماعي، وان ثقافة الإبراهيمي نابعة من التراث العربي، فقد حفظ دواوين لشعراء الجاهلية و الإسلام، وحفظ فنون النثر من خطب ومقامات و حكم وأمثال فكان ذا ذاكرة خارقة و قد حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية وتمكن من علوم التشريع الإسلامي وعالج فنون اللغة العربية و اشكالياتها في النّحو والصّرف والفقه، وقد اهتم اهتماما شاملا بعلم التاريخ العام و علم النّفس و علم الاجتماع وكانت ثقافته تحفل بأخلاق نبيلة ممّا جعلته اجتماعيّا بطبعه ذات صلة بالجماعة وسائر فئات الشعب ويشاركهم فيشتّى مجالات الحياة. وقد قال عنه أحد تلامذته: "من عجيب أمر الشّيخ أنه إذا تكلّم أو احتجّ أو خطب ألهب النّفوس حماسة، وجعل القلوب تشرئب إليه للاستماع بفصاحة لسانه وسحر بيانه، يدخل المجلس كزهرة ذابلة، فإذا هو بعد الأخذ بناصية الكلام أشبه شيء بكوكب ذري..."[14].

وقد كانت شهرته الأستاذيّة والإماميّة ترافقه حيث كان لمكانته العلميّة المرموقة حتّى عرضت عليه(مشيخة) الأزهر من طرف السلطة المصرية آنذاك، لكنّه اكتفى بعضويته في البحوث الإسلاميّة في الأزهر، هذا لفضله في المعرفة والعلم والجهاد. أمّا عن العلماء الّذين ألقوا إليه بمقالد اللغة والبيان نجد: منصور فهمي الذي حضر ندوة علميّة وأدبيّة ألقى فيها الإبراهيمي كلة ثارت في نفوس الحاضرين، و قد ابتغاها وسيلة مثلى

---

[13]- أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص17.

[14]- جميل صليبا: (في ذكرى البشير) ص102 نقلا عن محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب قسم اللغة العربية–جامعة بغداد، العراق (1404ه–1983م) ص66.

في نفوس الحاضرين، وقد ابتغاها وسيلة مثلى في يقظة الفكر وإحياء النفوس ونصرة العلم وخدمة اللّغة العربيّة.

وقد رأى أحد العلماء و الأدباء أنّ شخصيّة الإبراهيمي تشبه شخصيّة محمد عبده حيث يقول: "كنّا نحسب أنّنا فقدنا محمد عبده في المشرق، حتّى فوجئنا بالأستاذ الإبراهيمي في الجزائر، فإذا هو محمد عبده المغرب..."[15].

كما حقّق الإبراهيمي صلحا اجتماعيّا و ثقافيّا خاصّة، و كان له وقفة أمام طلبة كليّة الآداب و أساتذتها و هذا أثناء برنامج زيارته لجامعة القاهرة سنة1952م حين: "دخل إلى عدّة أقسام دراسيّة في اللّغة والتّاريخ وعلم الاجتماع، فكان كلّما دخل قسما وطلب(منه)أن يقول كلمة، يأخذ رأس موضوع الدّرس من الدّكتور المحاضر و يتحدّث فيه بعذوبة واستفاضة و فصاحة، كمن يغرف من بحر حديث العالم المتعمّق بما حيّر وأدهش الأساتذة والطّلبة"[16].

يبدو أنّ الإبراهيمي صاحب ثقافة عميقة ذات أبعاد إيديولوجيّة عربيّة إسلاميّة، تكشف عن جذور الأصالة بدلالات دينها و لغتها و تاريخها. ورغم الظّروف الّتي مرّ بها الشّيخ الإبراهيمي استطاع أن يترك للجيل العربي بصورة خاصّة بصمات فكره في ميادين البحث العلمي.

---

[15]- عبد الملك مرتاض: الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، نقلا عن محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا ص68.

[16]- انظر(الذكرى التاسعة لوفاة الإبراهيمي) مجلة الثقافة–الجزائر–ع، 21س4. 1394ه_1974م–نقلا عن محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا ص168.

المطلب الرابع: وفاته وآثاره

وفاته: عاد الإبراهيمي إلى وطنه الجزائر من رحلته الأخيرة أواخر سنة 1962م فوجد علم الحرية يرفرف فوق ربوع الوطن، محقّقا أمنيته بوجود الجزائر مطلقة بعد أن تركها موثّقة ليتصل بالأمة الجزائرية، في أول صلاة أمّ فيها النّاس بمسجد "كتشاوة" الذي أعيدت له صفة المسجد بعد أن حوله المستدمر إلى كنيسة" كان ذلك الاتصال بالجمهور عن طريق الإذاعة التي نقلت خطبتي الجمعة، فأعادت كلماته للكثيرين من رفاقه وغيرهم، أعذب الذكريات وأحلاها"[17] وكان ذلك في نوفمبر1962م.

فرح الشعب الجزائري بعودة الشّيخ الإبراهيمي إلى الوطن، لكن هذه المرة لازم بيته، وقد أنهك جسمه المرض، فضعف جسمه، وشحب لونه وخف وزنه، وظل الشّيخ على تلك الحالة إلى أن اختاره ربّه إلى جواره "بعد ظهر يوم الخميس 20 مايو 1965م"[18]، ودفن بمقبرة سيدي أحمد بالجزائر العاصمة، وقد كان لوفاته الأثر البليغ في نفوس الشعب الجزائري كافّة، وكذا محبيه في البلاد العربيّة.

و قد حضر في جنازته الرئيس الراحل هواري بومدين و الشاعر الكبير المرحوم محمد العيد آل خليفة رفيقه في جهاده، وقف أحد أبناء الجمعية على جثمان الفقيد و رثاه بقصيدة حزينة جاء فيها:

قم بحق الإخاء وارث حميما*راحلا مخلص الولاء صميما**

صدّ عنك الذي دنا منــك ودّا*و حنا عاطفا عليك كريمــا**[19]

---

[17]– عمر بن قينه: (البشير الإبراهيمي مصلحا وثائرا) مجلة العربي، الكويت،ع260 ،1399ه_1979م،ص47. نقلا عن محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص61.

[18]– محمد البشير الإبراهيمي:(أنا) مجلة الثقافة،ع27، ص32.

[19]– صالح خرفي: محمد العيد آل خليفة، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ورشة أحمد زبانة– الجزائر(د.ط)1986م، ص60.

وقد اهتمّ بعضهم بتقديم سيرته وجهاده و منزلته العلميّة، و هذا في المجمّع العلمي بالقاهرة حيث دعا إليه طه حسين، و المجمّع العلمي بدمشق، و كتبت بنت الشاطئ ترثيه اثر وفاة الإبراهيمي التي نشرتها جريدة الأهرام تحت "رحل البشير" في قولها:

على درب الجهاد التقيـــــنا

والـــى حزب الله انتميـــــنا

وبالقلم وبالضمير تعارفـــــنا

و قد كانت بنت الشاطئ ترى في الإبراهيمي المثل الأعلى للمثقّف العربي، وكانت لهما صلة علميّة وأدبيّة دائمة حين إقامته بالقاهرة رحمه الله[20].

آثاره:

لم يتّسع له الوقت للكتابة والتّأليف لكنّه ألّف للشّعب رجالا، وعمل لتحرير عقولهم تمهيدا لتحرير أجسادهم، وصحّح لهم دينهم ولغتهم، فأصبحوا مسلمين عرب، و صحّح لهم موازين إدراكهم فأصبحوا ألسنة أبيّة، وحسبه هذا مقرّبا من الرب و رضا الشّعب.

ومع ذلك فقد ساهم بالكتابة في موضوعات مفيدة، و لكن لم يساعده الفراغ و لا وجد المطابع على طبعها. وقد بقيت كلّها مسودّات في مكتبة بالجزائر.

يمكن تصنيف مؤلّفاته إلى3 مجالات: لغويّة، أدبيّة، إسلاميّة.

أ_آثاره في دراساته اللّغويّة

- كتاب: بقايا فصيح العربيّة في اللّهجة العاميّة بالجزائر.
- كتاب: النّقابات والنّفايات في لغة العرب.
- كتاب: أسرار الضّمائر في العربية.
- كتاب: التّسمية بالمصدر.

[20]- د.بنت الشاطئ: عائشة عبد الرحمان: قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، ص9، نقلا عن محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص64.

- كتاب: الصّفات الّتي جاءت على وزن فعل (بفتح العين).
- كتاب: نظام العربيّة في موازين كلماتها.
- كتاب: الاطراد و الشذوذ في العربيّة.
- رسالة في الفرق بين لفظ المطرد و الكثير عن ابن مالك.
- رسالة في ترجيح أنّ الأصل في بناء الكلمات العربيّة ثلاثة أحرف لا اثنان.[21]

ب_ آثاره في دراساته الأدبيّة

- كتاب "عيون البصائر "وهو الكتاب الوحيد الّذي طبع في حياة الإبراهيمي بعد الاستقلال.
- رواية "كاهنة أوراس" و هي من النّثر الجزائري الحديث و لم يطبع شيء.
- رواية "الثّلاثة": و هي عبارة عن مسرحيّة شعريّة تشتمل على نحو:881 بيتا كتبها في منفاه في مدينة أفلو.
- "رسالة الضّب": وهو بحث علميّ أدبيّ يتناول فيه الكاتب وصفا دقيقا لحقائق علميّة عن أصل هذا الحيوان و فصله.
- كتاب: "ما أخلت به كتب الأمثال من الأمثال السّائرة"، لم يطبع بعد.
- كتاب: "آثار محمد البشير الإبراهيمي" كتبه في مرحلته الأولى من حياته في الحقل الوطني في العشرينات من القرن الماضي إلى نهاية الثلاثينات. جمع هذه المقالات نخبة من تلامذة الإبراهيمي، وطبعته الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع للمرّة الأولى سنة1398ه–1979م وجعلته ج1، و"كتاب البصائر"ج2.
- كتاب: "آثار البشير الإبراهيمي" وهو الجزء الثّالث الّذي يتناول مقالات أدبيّة و اجتماعيّة وسياسيّة و صحفيّة و قرارات جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين.

و لكنّ أعظم ما دوّن، "ملحمة رجزية" نظّمها في السّنين الّتي كان فيها مبعدا في الصّحراء الوهرانيّة، وهي تبلغ ستة و ثلاثين ألف بيت من الرّجز السلس اللّزومي في كل بيت منه، وقد تضمّنت فنونا من المواضيع: تاريخ الإسلام ووصف كثير من الفرق التي

[21]– محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص47.

حدثت في عصرنا هذا، وللمجتمع الجزائري بجميع فرقه ونحله، ولأقانين في الهزل وللمذاهب الفكريّة والاجتماعيّة والسّياسيّة المستجدّة، ووصف الاستعمار ومكائده ودسائسه وحيله وتحذيراته للشّعوب للقضاء على مقوّماته"[22].

ج_آثاره في دراساته الإسلاميّة:

لم يطبع شيء فقد اهتمّ الإبراهيمي رحمه الله بالدّراسات الإسلاميّة وجعله مبدأ الإصلاح وهناك كتابين لم يطبعا بعدهما:

- كتاب: "حكمة مشروعيّة الزّكاة في الإسلام "بدأ فيه من أيّام إقامته في دمشق بعد الحرب الأولى، وأتمّه بعد ذلك في فترات بحث فيه "ينابيع الماء في الإسلام".
- كتاب شعب الإيمان جمع فيه الأخلاق والفضائل الإسلاميّة.
- ولم تجمع كل آثاره وهذا لأنه قضى حياته كلّها في التنقّل والتّرحال في مواطن كثيرة وعديدة من العالم، في بلدان عربيّة وغير عربيّة وكان يخطب الخطب، ويحرّر الرّسائل الإخوانيّة ويحضر المؤتمرات والنّدوات ولهذا فله إنتاج غزير لم تمسّه يد الطّبع ولم تشمله وسيلة الجمع[23].

---

[22]- أبو القاسم سعد الله: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في المعركة، ص89.

[23]- محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص76.

المبحث الثاني: النزوع الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي

المطلب الأول: دواعي النزوع الإصلاحي عند الإبراهيمي

تبنّى الإبراهيمي الفكر الإصلاحي للمجتمع، هادفا من وراء ذلك تحقيق تقدم جوهري للجزائر وإعادة تشكيل مجتمع جديد، والمحافظة على الرّؤية التّاريخية التي يستلزمها في ترسيخه قوى سياسيّة واجتماعيّة وفكريّة تتلاحم فيما بينها لتكون عناصر الثورة التي ترمي إلى التغيير الجذري في شتى الميادين والقضاء على الجهل والأمية والتخلق من جراء الإستدمار.

ولاشك أن ظهور المنهج الإصلاحي عند الإبراهيمي وبراعته كان وليد ظروف استعماريّة بحتة، ذلك أن الاستعمار يهدف إلى القضاء وطمس جلّ مقوّمات الشّخصية الجزائرية، لذا كان الإبراهيمي ناقما عليه حاقدا، يضفي ويلصق كل صفة ذميمة به، ونجد هذا في قوله: "استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي يعتمد على الحديد والنّار، واستعمار روحاني يمثله مشائخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتعلقون في جميع أوساطه المنجرّون باسم الدّين المتعاملون المتعاونون مع الاستعمار عن رضى وطواعية"[24].

ولقد عالج الإبراهيمي مختلف القضايا بفكره وقلمه وتأثّره بالإصلاح ناتج عن مستواه الفكري والعلمي، والحافظة الذّهنية التي وهبها الله له، فقد حفظ القران حفظا متقنا وهو في التاسعة من عمره وقد تمعن في معانيه ودرسها وتذوق بيانه طول عمره، فطمر أثر ذلك كله في نفسه وقلبه وفكره ولسانه.

ولقد عرفت الحركة الإصلاحية مشرقا ومغربا كثيرا من هؤلاء المفكرين الذين شغلتهم مسؤوليّاتهم الاجتماعيّة اليوميّة عن الكتابة والتّأليف، نذكرمنهم: جمال الدين الأفغاني، محمد عبده بمصر، سالم بن حاجب بتونس، ومحمد بن العربي الحاوي بالمغرب وبيوض إبراهيم بجنوب الجزائر، فهؤلاء أيضا قضوا حياتهم في تأليف الرّجال لا في تأليف الكتب[25].

---

[24]– محمد البشير الإبراهيمي: مجلة الثقافة (أنا) ص145.

[25]– محمد الهادي الحسيني: مجلة الموافقات، ع4، س4، 1416ه–1995م، ص581.نقلا عن عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص45.

كما كان لرحلات الإبراهيمي في مختلف الأقطاب أثر في ظهور الإصلاح لديه وخصوصا بالمشرق العربي لاحتكاكه بأفكار الإصلاح أمثال الأفغاني ومحمد عبده وغيرهم، فقد راح إلى المشرق ليمثل الجزائر التي صارت لا تذكر، وبجمعيته التي أحيت الجزائر، ومن وراء كل هذا أصبحت الجزائر شيئا مذكورا بما القي من محاضرات في النّوادي والتّجمعات وديباجة مقالات في الصحف والمجلاّت وما حضر من مؤتمرات وكان قد حقّق نجاحا باهرا يعجز عن تحقيقه كثير من الرّجالات[26].

[26]–المرجع نفسه: ص60.

المطلب الثاني: أبعاد النزوع الإصلاحي

أولا: البعد الاجتماعي

إذا كانت الثّورة تعتبر مسار الحياة في حالتها التي لا ترضي الأمة في الأوضاع الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة، فإنّ الإبراهيمي جعل من الكلمة الإصلاحيّة سلاحا وعنصرا مكونا للثّورة الذي يهدف من ورائه إلى التغيير والثّورة على الأوضاع وذلك هو شأن حركة الإصلاح. فرجل الإصلاح هو رجل الثّورة وسلاحها يتعدد بتعدد نوعيات هذه الثورة.

إنّ الفكر الاجتماعي عند الكاتب أو المفكر يقتضي منه معايشة منعطفات الحياة الاجتماعيّة في أمته. ويحدد صيرورتها داخل قطبين متوازنين هما: قطبا نهضتها ونكستها. و لعل هذه الضرورة تتجلى بوضوح لتميز الخصائص الأساسية لكتابات الاجتماعيين أو المصلحين الذين أفرزهم تيار الحضارة الاجتماعيّة. وهذه الميزة قد حواها أدب الإبراهيمي أخذت سمتها في البعد الاجتماعي الإصلاحي لأنه عايش المجتمع الجزائري بواقعه وقرأه كما يقرأ الكاتب، فهو يعبر عن تجاربه و عن الحيز الذي هو فيه فهو القائل في بعض كتاباته: "من أراد أن يخدم هذه الأمة فليقرأها كما يقرأ الكتاب وليدرسها كما تدرس الحقائق العلميّة فإذا استقام له ذلك، استقام له العمل، وأمن الخطأ فيه، و ضمن النجاح و التمام له، فإن تصدى لأي عمل يمس الأمة من غير درس لاتجاهها و لا معرفة بدرجة استعدادها كان حظه الفشل"[27].

وبناءا على هذا يمكن للدارس أن يخلص إلى معالم تجديديّة في البعد الاجتماعي وذلك من خلال كتاباته و تناوله لقضايا اجتماعيّة، حيث عالج الإبراهيمي مختلف القضايا الاجتماعيّة، فلقد ورد في مجلة الثقافة في عددها 87 وفي سنتها 15 نضاله حيث نجده يعيش حياته داخل المجتمع الجزائري، وفي إطار حركة توعيّة و إيقاظ الشّعب الجزائري في الحق و العدل و الحرية و الانعتاق، لقد بنى الرجل مسيرته على أساسين هما:

---

[27]- محمد البشير الإبراهيمي: حقائق، جريدة البصائر–2–دار الغرب الإسلامي–الجزائر،ع47، س1(1367ه–1947م)، ص1

- من إرادة الشّعب الجزائري في الحياة الحرّة.
- من مبادئ الحركة(الباديسية) التي وجدت لأن تكون لسانا و عقلا وتنظيما بإرادة الشعب نفسه و طموحه المشروع و قيمه الرّاسخة[28].

فمعاناة الكاتب و إحساسه العميق بالواقع الأليم الناتج عن مفعولية الحدث و إن العدل المفقود من أعوز الحقوق الاجتماعيّة تثبت وجود شعب ، أو تقرأ انعدامه بسلبه حرّيته وكرامته، و إن أدب الإبراهيمي الذي مداره مشكلات المجتمع الجزائري المختلفة بعكس مرحة الاستعمار و سمة المعاناة بارزة وواضحة في كتابات الإبراهيمي الاجتماعيّة، و قد حاول بجهده أن يصلح كثيرا من العادات و المعتقدات الفاسدة في المجتمع الجزائري في وقت كان فيه الطموح إلى الثورة و التغيير من خلالها أمرا يعدّ مستحيلا، كما عدّ التحليل و الاجتهاد الفكري من أكبر الكبائر غير أن الإبراهيمي بذكائه وحدّة بصيرته استطاع أن ينفذ إلى أعماق المجتمع غير مبال بجميع الظّروف و الضّغوط-معنوية كانت أم مادية- فكان يرتكز على محاولاته الإصلاحيّة على جانب سام ألا و هو مبادئ الدّين الإسلامي الصحيح.

وأبرز قضاياه الاجتماعيّة التي عالجتها قضية الزواج حيث يقول في هذا الشأن :

"حتى لا يضيع على الجنسين ربيع الحياة و نسماته و ازدهاره، و بهجته و قوته، ويضيع على الأمة بنات ذلك الربيع و ثمره الخصب و النماء و الزكاء فيه، ثم يضيع بسبب ذلك أخلاق أعراض و أموال و إذا زادت هذه الفاشية فشوا، واستحكم هنا التقليد الفاسد فان الأمة تتلاشى في عشرات السنين"[29].

فالتّقليد الفاسد هنا هو إعراض الشّباب عن الزواج، فقد دعا إلى الزواج المبكر بسبب كما يري أن أي أمل في الحرية و الانعتاق إنما يتمثل في توفير الظروف الملائمة كمّا وكيفا.

---

[28]-زهور ونيسي: بعض من رؤية الإبراهيمي في الإصلاح الاجتماعي، مجلة الثقافة، ع15، س87(1985) ص 88.

[29]– ينظر: مجلة الأصالة، الجزائر، ع13، س1391/3ه–1937م. نقلا عن محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا ص92.

ثانيا: البعد السياسي

خاض الإبراهيمي غماره في أدبه و كتاباته واكتسب أدبه أبرز صفة و هي أنّه أدب تحرّري، غايته تصوير الحياة الثائرة في الجزائر، وكان سياسيا بارعا بحق فيبارز الخصم ولا يخشى لومة لائم و يقف في وجه ليقول كلمة الحق فكان يندد بجرائم الاستعمار و سطوه الفظيع، وقد كافح من أجل تحرير الوطن فاتخذ من الكلمة سلاحا له في وقت كان الاستعمار بحديده وناره يتحكم في رقاب الناس و يسلّط قوته عليهم، رغم كل هذا وذاك هاجم الاستعمار الفرنسي وسياسته وتحداها وشف حقيقتها، وكان واحدا من مجددي فكرة الوطن الجزائري، وواحد من المحافظين على الهوية الدّينية الواقعة تحت وطأة الإكراه المادّي و المعنوي للمشروع الاستعماري.

وقد قال في الاستعمار و جرائمه أنه:

"جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن، كما تجيء الأمراض الوافدة، تحمل الموت وأسباب الموت..."[30]

ونجد الإبراهيمي في تعبيره جريئا وصريحا عن بشاعة هذا المستعمر الذي حاول جادّا بتر الشعب الجزائري من جذوره و هدم هويّته و القضاء على أصالته، لذلك عمل جاهدا على توعية الشعب وتبصيره بحقيقة الخطر العقيم، وإلى تعبئة الغافلين وقهر دعاة الاستعمار وأنصاره فقال:

"يا هؤلاء؟ إنّ الاستعمار شيطان، وإن الشّيطان لكم عدو فاتخذوه عدوّا، وإن الاستعمار شرّ، ومحال أن يأتي الشّر بالخير، ومحال أن يجنى من الشوك العنب..."[31].

فيعرب عن تعرية كاملة صارخة لكيان الاستعمار وسياسته فهو يعده شيطانا يغوي أولياءه لكنه لهم، فقرّ الإبراهيمي هذه النّتائج عن تجربته في هذه الأحداث.

إن ما ميّز كتابات الإبراهيمي في هذا الجانب هو ذلك التّكامل بين مواقف جهاده بالكلمة سواء كانت هذه المواقف تهتمّ بالتّصحيح الاجتماعي أو تقاوم مساعي الاستعمار،

---

[30]– محمد الطاهر فضلاء: أعلام الجزائر، الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه الأول، مكتبة و مطبعة البعث، قسنطينة–الجزائر(د.ط)(1967) ص181.

[31]- انظر: جريدة البصائر، ع4– س1–1366ه–1947– ص1. نقلا عن محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص96.

أو تسعى جاهدة إلى نيل الحرية، أو تدافع عن مبادئ الشّخصية العربيّة الإسلاميّة فالملاحظ لهذه المواقف يجدها تتفق في نقطة الإصلاح، إذا لم يكتف بعرض قضايا وطنه فحسب، بل عالج بعض القضايا العربيّة من بينها القضيّة الفلسطينيّة التي شغلت فكره و مثلت في كتاباته حملا ثقيلا و كونت عنده العصب الحسّاس في بعده السّياسي، غير أن هذه المسألة لم تكن حكرا عليه وحده بل أنّ الكثير من الكتّاب والأدباء والسّاسة الجزائريين أولوا لها اهتماما بالغا في كتاباتهم، نذكر منهم على سبيل المثال: ابن باديس، عمر راسم، محمد السعيد الزاهري...فقد كان إحساس هؤلاء مبكرا بالقضية كما كان مرجعية تبرهن على قوة الرّوابط بين شعوب الأمّة العربيّة و الإسلاميّة عامة و فلسطين على وجه الخصوص، و لكن قلّما عالج أديب عربي قضية فلسطين بكل صراحة وواقعية مثلما عالجها الإبراهيمي في سلسلة البصائر المختلفة و ذلك لإيمانه المطلق بأنها إحدى وقائع العصر الحديث التي لا ينبغي السّكوت عنها لما تمثّله من تحولات سلبيّة في تاريخ العرب والمسلمين، و نتيجة لهذا تولّد عنده انفعال حاد جعله يحدد موقفه اتجاه القضية، فنجده يلج هذا الباب حاملا معاني السّخط و الانهيار والحسرة، فلم يتوقف قلمه ولا فكره لحظة واحدة منذ أن أصيبت وأصيب هو معها بجروح لم تضمّد، وفي هذا المجال يقول: "فلسطين إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحا داميّة وفي جفن كلّ مسلم من محنتك عبرات هاميّة وعلى لسان كلّ مسلم جزائريّ في حقك كلمة مترددة هي فلسطين..."[32].

ثالثا: البعد الفكري

إنّ الشاعر أو الأديب أو الفنان ملزم بالضّرورة بأن يغترف معاني مادّته من مجتمعه الذي يحيا فيه لأن له صلة وثيقة به و بالظروف التي ينشأ فيها فهي التي توجه تفكيره ونموه و تطوره فينعكس على عمله الفني أو الأدبي، فقد انصهر أدب الإبراهيمي و كتاباته في تثبيت بعد فكري يعالج المسائل المتعلقة بالشخصية الجزائرية و تثبيت أصالتها و تحدد مقوماتها.

1- محمد البشير الإبراهيمي: فلسطين، جريدة البصائر، دار الغرب الإسلامي- الجزائر، ع5، س1 (5سبتمبر1947) ص1.

وقد تبلغ القضايا التي تطرحها كتابات الإبراهيمي حدّ الإيمان بها، لأنّها تنبع من وجدانه الدّاخلي وتعبر عن وجود أمّة. ولعلّ هذا هو السّر الذي جعل بعض الكتّاب الجزائريين، يتساءل بقوله: "...إنّ أدباءنا لا يتفاعلون مع مجتمعهم بطريقة إيجابية، فيكتفون غالبا بالتعبير عن مسيرته من الخارج..."[33] و يرى أن أعمالهم الأدبية تبدو وكأنها كتبت بيد أجنبيّة لا يهمّهم من أمر المجتمع شيء، على عكس أدب الثورة و ما قبلها الذي كان مجرى السّليقة على الألسن. و غرضنا من هذا التقديم هو الوقوف عند القضايا التي يمكن استخلاصها من كتابات الإبراهيمي في جانبها الفكري.

وتعتبر اللّغة العربيّة من بين أهم القضايا التي شغلت فكر الإبراهيمي وهي حصيلة التفاعل مع نزعته العربيّة الإسلاميّة التي يستمدّ منها مادته الخام ويستقي شخصيته الأدبية والفكرية. وفي هذا يقول كلمة صريحة مباشرة: "وقومي هم العرب أوّلا، والمسلمون ثانيا، فهم شغل خواطري و هم مجال سرائري و هو مالئو أرجاء نفسي، ومالكو أزمة تفكيري..."[34] فالإبراهيمي هنا ضميره منفعل بنزعته العربية الإسلامية فيكشف عن معاناة أعباء حمل ثقيل يشغل تفكيره بحال قومه المتردية فتعتر به هموم وأحزان.

فاللّغة العربية عنده تتلاحم مع الإسلام و العروبة تلاحما شديدا، و تأثّر في اتجاهه تأثيرا صريحا و ذلك لأنه يعدّها مكونا رئيسا من مكونات الهويّة الوطنيّة، فنجده يدعوا إليها في موضوعاته ويعالج واقعها في المجتمع الجزائري خاصة إبّان الاستعمار الفرنسي الذي عمد إلى فرنسة الجزائر، لذا اتخذها الأدباء موضوعا لهم سواء في الشعر أو النّثر الحديث، و ظلّت كتابات الإبراهيمي في هذا الموضوع أحسن من مثيلاتها، وكثيرا ما يربطها بعوامل دينية و قومية و وطنية بل يجعل منها واقعا حضاريا معاشا، يقول الإبراهيمي في دعوته للعربية:

"اللّغة العربيّة في القطر الجزائري ليست غريبة أو دخيلة بل هي في دارها و هي ممتدة الجذور من الماضي مشتدّة الأواخي مع الحاضر طويلة الأفنان في المستقبل لأنها

---

[33]– انظر: محمد مصايف:(أدباؤنا و المسيرة الثورية) مجلة البصائر– الجزائر–ع13– س3– 1393ه–1973م ص86، نقلا عن محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص113.

[34]– انظر جريدة البصائر، ع 163، س5–1370ه–1951م، ص1 وينظر عيون البصائرص5347 نقلا عن محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص115.

دخلت هذا الوطن من الآلام على ألسنة الفاتحين وتنساق في الأسنة واللّهوات وتنساب بين الشفاه و الأفواه..."[35]

تتجلى لنا من خلال هذا النّص أصالة اللغة العربية في الجزائر فينفي عنها أن تكون غريبة أو أجنبية دخيلة في هذا القطر العربي، فالإبراهيمي يدافع عنها و يرسي قوائمها من خلال التاريخ و الأصالة و يثبت صلتها الوثيقة بالإسلام الذي تنهل منه وتتغذى من دستوره و تنقل معاينة إلى الأمم التي ينبغي أن تتفهّم معاني الإسلام و في هذا العمل يكون التقارب الفكري بين الأمم بالرغم من الاختلاف القائم بين جنسياتها ويرى الإبراهيمي "أن اللّغة العربيّة هي وعاء الإسلام و حافظة قرآنه و تراثه".[36]

رابعا: البعد الديني

يتجلى في فكر الإبراهيمي أن البدء في الإصلاح الديني هو الأساس و هو فاتحة الأعمال للحركة الإصلاحية في الجزائر و لعلّ السبب في هذا يرجع إلى ما يراه الإبراهيمي من"اعتراض ضرورة اقتضاها طغيان الفساد في العقائد حتى أصبح من آثاره اللاّزمة التّزهيد في العلم"[37].

فهذه الحتمية هي الّتي طوّعت الإبراهيمي أن يعلن في كتاباته أنه لو لم يحدث من الحوادث ما جعل اتجاه الجمعية إلى الإصلاح الديني أقوى لكان الإصلاح العلمي أول ما تعالجه و تبذل فيه جهودها لأنه ألصق باسمها و أكثر ارتباطا بجوفه رجالها..."[38]

وتمثّلت أبعاده الدينيّة في تحرير العقول من الأوهام و الضّلالات في الدّين و الدّنيا، وهو تحرير العقول أساس لتحرير الأبدان و بذلك التحرير أيقظت الجمعية في الأمة قوة التمييز بين الصالح من الرجال و الصحيح من المبادئ و بين الطالح و الزائف منها."[39]

---

[35]-محمد البشير الإبراهيمي: اللغة العربية في الجزائر عقلية حرة ليست لها ضرة– البصائر.نقلا عن: محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص 221.

[36]- محمد البشير الإبراهيمي: مجلة الحج والعمرة ع6، س59 1424ه–2004م، نقلا عن: المرجع نفسه، ص 125.

[37]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي ج1، ص69

[38]–المصدر نفسه، ص69.

[39]– محمد البشير الإبراهيمي: جمعية العلماء(أعمالها ومواقفها) جريدة البصائر، ع2، ط1(1 أوت 1947) ص1.

ثمّ إن الإمام كان يعيش مأساة المسلمين بادراك عميق لحل مشاكلهم واعيا بواقعهم الذي يتخبطون فيه، فهو في ترفّع دائم على الانخراط معهم في الهاوية فيستعصي عليه الصبر و السكوت فيعلنها صيحة ثورية مع الإيمان الصادق بالنقد اللاذع من أجل تحرير الفكر الإسلامي و الانقلاب الاجتماعي و التقدم الحضاري كما يريده الإسلام.

يقول الإبراهيمي عن المسلمين: "وأفكر في قومي المسلمين فأجدهم قد ورثوا من الدين قشورا بلا لباب و ألفاظ بلا معاني، ثم عمدوا إلى روحه فأزهقوها بالتعطيل إلى زواجره فأرهقوها بالتأويل و قد نسوا حاضرهم افتتانا بماضيهم، فهو يكشف عن مرحلة الانحطاط والتخلف الذي كان رمزا للدفاع الحضاري و سلاحا وهاجا لسعادة الإنسان الحر و تتضح رؤيته في تأسيس القواعد الحضارية المعنوية للإسلام حينما ينبه للمستقبل، و ما غرس محمد صلى الله عليه وسلم شجرة الإسلام ليأكل هو وأصحابه ثمارها ولكن زرع الأولون ليجني الآخرون."[40]

ونجد الإبراهيمي يستمد طاقته الفكرية من معايشته للمجتمعات الإسلاميّة سواء في علاقة الحكّام بالرعية أو في قضية الاستعمار فنجد فكره يدور في حلقة مفرغة تعاني فراغ الاطمئنان المثالي الذي يبحث عنه فلم يعثر له على أثر إلا في تعاليم الإسلام. مادام الحق ضائعا وصوته مكبوتا كما يقول الإبراهيمي في هذه المقتطفات الشعرية:

إنّ المنابر في الإسلام ما نصبت * إلاّ لترفع صوت الحقّ في النّاس.**
فاختر لأعوادها لا من يلين لـــه * في الحقّ عود ولا يصغي لخنّاس.**
ومن إذا ريع سرب الدّين حقّله * ولم يكن لعهـــــود الله بالنّاسي.**[41]

وهذا ما طبع به أدب الإبراهيمي، فهو يمثّل في كتاباته سلاحا قويّا في الدّفاع عن مقومات الشّخصية الإسلاميّة سواء في ردّه على المستعمر أو في مقاومته لرجال الطّرقيّة.

المطلب الثالث: تجليات النزوع الإصلاحي عند الإبراهيمي في نثره

1- الخطابة

[40]- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ج1(1971م) ص547.

[41]- أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج3 ص 485.

لقد أدرك الإبراهيمي ما للخطابة من أهميّة بالغة، نظرا لتأثيراتها على عقول و قلوب الجماهير في استمالة مشاعرهم و عواطفهم و ربّما التّغيير من سلوكاتهم فاتخذها منبرا لنشر الوعي، بل جعلها منزلة واحدة مع فنّ التمثيل فهي أساس بناء صرح الحضارات.

التّمثيل و الخطابة توأمان متلازمان ومنزلتهما من دواعي التهذيب و التربية الفاضلة وما بنيت نهضة من النّهضات الأخلاقية إلا وللتمثيل والخطابة في بنائها القسط الأوفر والحظ الأولى[42].

فأثناء عقد المؤتمر الخامس لجمعية العلماء في شهر جمادى الثانية 1354ه، قرر تخصيص يوم الإلقاء للخطب و القصائد و يختم المؤتمر بتلاوة خطبة فأكّد على إقامة عكاظ سنوي تتدرب فيه ناشئتنا الإصلاحية على الكلام وتتمرن على الخطابة لتستعد بالدعوة و الإرشاد، و إن الخطابة لركن الإصلاح الركين .

يعتبر الإبراهيمي رائد الحركة الخطابيّة في الجزائر دون منازع، فقد كانت ضالّته أينما حلّ وارتحل، كان يخطب في بعض المناسبات الرّسمية و غير الرّسمية فكان شديد العارضة، فصيحا لسنا ساعده ذلك محصول من اللغة الوفير و إلمام بالأمثال و براعة في حسن إجرائها في مضاربها و قد اكتسب بها مكانة كبيرة هذا بشهادة أحد أصدقائه كأمثال: ابن دياب الذي كتب عنه حين حضر إحدى خطبه قائلا: "قد أحببت أن أسبر غور السليقة العربية فيه و أبلغ عمق ملكة الفصاحة في لسانه، وغزارة المادة في تبيانه أن أسمع الرّجل يقول فيطيل القول ثلاث ساعات كاملة فلا يعثر له لسان و لا يلتوي بيان و لا يعوزه على ما قال برهان فآمنت أن الرجل أخطب من سحبان"[43].

لذا فقد تعدّدت خطبه و تنوّعت بتنوّع تلك المهرجانات المختلفة التي كان خاطبا فيها، بناءا على هذا يمكن تحديد أنواعها على الشكل التالي:

أ- الخطابة الدينية

أولى الإبراهيمي للخطبة الدينية اهتماما بالغا نظرا لتردّي الوضع الدّيني في الجزائر، فكانت سلاحه الوهّاج لتصحيح عقيدة الفرد الجزائري التي تعرّضت للتشويه، وتخليص المجتمع من رواسب الخرافات والضلالات، وتحرير النّاس من عبودية الاستعمار و قيوده

---

[42]- أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 67.

[43]-عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص 282.

وتضمّ كلاما دينيّا تخاطب به العامّة والخاصّة من الناس في أمور دينهم من تذكير وترغيب وترهيب، وحثّ على الحلال وصدّ عن الحرام، وكان الاعتقاد السّائد يتم إلقاؤها في الجمعية، غير أن الإبراهيمي تعدّى تلك النّظرة الضيقة ليصبح في مقدورها معالجة مختلف القضايا والموضوعات لكن بأسلوب ديني بحت كتلك التي ارتجلها في الحفل الذي أقامته كلية الشعب بقسنطينة على شرف الإمام عبد الحميد بن باديس سنة 1936م بمناسبة ختمه القران الكريم تفسيرا، ولعل ما يميزها عامة ظاهرتي التعميم و الاستطراد: "إن أحدا من المسلمين لا يجهل يوم بدر ولا يجهل –إن كان عاميا– أثره في ظهور التّوحيد على الشرك لكن قليلا منهم من يعرف أن اسمه كذا و أن نسبته من الشّهر كذا وقد غربت شمس بدر مند مئات الآلاف من الأيام وجرّ عليه الفلك أذيال عشرات الآلاف من شركائه في الاسم ،فلم يعف له رسما ولم يطمس له أثرا، مات معناه التّاريخي النّفسي لم يمت بل هو باق ما بقي الإسلام طويل العمر ما طال ، واسع المعنى ما اتسع"[44].

ب– الخطابة الأدبية

ويعالج هذا النّوع من الخطابة قضايا الفكر والثّقافة والأدب معا، وتحقّق الناحية النّفعية في اتساع آفاق المعرفة ،تتميز بأناقة أسلوبها، جمال لغتها، قوّة بيانها، وكان لها هي الأخرى الحظ الأوفر عند الإبراهيمي للنّهوض بالأدب وترقية مستواه اللّغوي و الثّقافي بدعوة الأمّة للتفقه في لغتها والتسلّح بمختلف العلوم حتى يمكنها التصدي لرياح الحضارة الغربية. في هذا الإطار ألقى خطبة بعنوان: "العربية وفضلها على العلم والمدينة وأثرها في الأمم غير العربية "حيث دعا فيها على التمسك باللغة العربية والمحافظة عليها، "يا أيها الأخوة الكرام !كلّفني الأستاذ الرئيس أن أحاضر هذا المجمّع العربي الحاشد بكلمات من ناحية زاخرة من نواحي لغته الجليلة، وجانب عامر من جوانبها الفسيحة، وهو فضلها على العلم و المدنية وأثرها في الأمم غير العربية..."[45]

استهلها بلفظة "أيّها" للفت الانتباه والتّركيز على ما سيقوله، فألقاها نيابة عن الرئيس على الحشود الحاضرة، غلب عليها الجانب السّردي الذي يميل إلى التلقين والتعليم، إذا تساءلنا عن هذا فنجد حجّة واحدة وهي أن الإبراهيمي لا يستطيع أحيانا التّخلص منه كونه

---

[44]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص361.

[45]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، ص10.

مدرسا ملقّنا، لهذا كان السرد ينساب إلى خطبته بإضطراب عفوي يميل إلى عرض الحقائق التاريخية والأدبية بغية الإفادة ،ولمهارته الأدبية و ثقافته الواسعة المتغلغلة في العلوم الدينية والفكرية و الأدبية، هذا ما جعله خطيبا بارعا في شتّى المجالات فهي الثقافة الواسعة نفسها عميقة جذورها راسخة و فروعها في السماء، فهو علامة تحدّ وأية إعجاز.

ج- الخطابة السياسية

إنّ الخطابة السياسية قليلة جدّا في أدب الإبراهيمي بحكم أنّه مصلح وأديب، أكثر منه سياسي، يتوفر فيها معالم الجمع بين رزانة الأفكار، وبساطة الأسلوب وجمال الأداء. فقد تبرأ من أن يوصف بالسياسي مبرزا أن جمعية العلماء دينية وليست جمعية سياسية غير أنه أدلى بعكس ذلك في موضوع آخر: "ولنكن علماء وسياسيين، ولنكن كل شيء يحمي أمّتنا ويحمي ديننا ولغتنا ما دامت لا تجد صاحبك إلا حيث تكره فمن العدل ألا يجدك صاحبك حيث يكره"[46].

لكن رغم اعترافه بهذا إلا أن حنكته السياسية جعلته يلقي أروع الخطب في الحفل السياسي فاضحا سياسية الاستعمار في هضم حقوق الشّعب وتمثيل دولته في الأمم المتحدة، أين ألقى خطابا في حفل أقامته جمعية العلماء على شرف المشاركين في المؤتمر بنزل العالمين "ديموند": "أحقيقة ما ترى عيناي أم خيال؟ إخوة طوحت بهم الأقدار وفرقتهم صروف الدهر في الأقطار حتى ما يتلقي رائح منهم بمبتكرة، ثم يجتمعون في هذه الليلة على غرة وعلى غير ميعاد، كما تجتمع أشتات الرمز في أبانها وفي مكانها تختلف منها الألوان والأشكال ويجمعها الشذا والطيب والجمال"[47].

2- المقالة

تمثل النّزعة النّقدية في مقالات الإبراهيمي الحافز القوي والمحرك الأول لكتاباته، وقد يصعب على الدّارس الحصول على مقالة تخلو من النّقد والانتقاد، سواء أكانت هذه المقالة تتناول قضايا سياسيّة أم اجتماعيّة أم دينيّة أم أدبيّة وعلى الرغم من هيمنة الروح النقدية

---

[46]- عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، (د.ط)(1993م)، ص214.

[47]- عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث ، ص215.

في مختلف مقالاته إلا أنّه يخصّص مقالات نقدية مستقلة، فقسم منها يتناول النّقد الأدبي وقسم يتناول نقد الشّخصيات إما بالمدح و إما بالقدح.

و قد أخذت المقالة حصّة الأسد في أدب الإبراهيمي، وغطّت مساحة كبيرة في حقل الأدب الجزائري الحديث بفكره وكتاباته، وشخصية الإبراهيمي لا تظهر كاملة الوضوح بنزعاتها ومواقفها، وبتحركاتها و سكناتها إلا في أدبه المقالي، فذاتيّة الإبراهيمي تهيمن على الفكرة المطروقة و تصيغ الموضوع بحرارة وجدانه وحماسة لهجته. وتشمل العديد من الأنواع:

أ- المقالة السياسية

تأخذ المقالة السياسيّة مكانها المرموق في الأدب العربي الحديث وتكتسب شهرة عاليّة، وقد عالج مختلف القضايا التي تهتمّ الشعب الجزائري في أكثر الأحيان ، وهم يعانون من جسامة العذاب الاستعماري، و تنكيله بفئات الشّعب ومثلّته جمعية العلماء المسلمين، ولعلّ ما نستدل به في مقاله فصل الدّين عن الدّولة، يقول: "ألححنا بالمطالبة بتحرير المساجد والأوقاف وسقنا على ذلك من الحجج ما لا يدحض وكشفنا عن الدّستور من مقاصد الحكومة، وقلنا لها(بالقلم واللسان)أن سكوت من قبلنالا يكون حجّة علينا و أن تخاذل من معنا لا يكون مسوغا لبقاء هذا الوضع الجائر واستمراره بل قلنا لها: أنّها هي السبب الوحيد.

لهذا التّخاذل، وهي التي صبرت طوائف منا مبطلة تخذل الحق أهل الحق وأن بقاء الوظائف الدينية في يدها هو أصل هذا البلاء الذي ينزع حبل الدين من تلك اليد و يوضع في أيدي أهله"[48]

كما سلّط الأضواء على قضايا العالم الإسلامي لاسيما القضيّة الفلسطينيّة حيث كتب على أثر تقسيمها قائلا: "أيّها العرب !قسمت فلسطين فقامت قيامتكم هدرت شقائق الخطباء وسارت أقلام الكتّاب أرسلها الشعراء صيحات مثيرة تحرك رواكد النّفوس، وانعقدت المؤتمرات وأقيمت المظاهرات..."[49]

---

[48]-عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث ، ص 335.

[49]- محمد ناصر بوحجام: من مجلة الموافقات، ع4،ص744 نقلا عن: محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص160.

وتبدوا مقالاته أساسا من أسس مظاهر الإخاء العربي الإسلامي ذلك لما تحمله من معاني المواساة وروح الانتماء إلى فلسطين ناعيا الظّلم داعيا إلى الاتحاد و التّعاون للوقوف في وجه الاستعمار الغادر، فلا وجود–في رأيه–لفلسطين أو الجزائر بل هناك وطن عربيّ واحد هو الوطن العربيّ المسلم ،مستعينا في إيصال أفكاره بتحميلها بشتّى ألوان البيان والبديع، وهي أساليب بلاغيّة ساعدته على تقريب المعاني إلى الأذهان وتعدّد الأساليب من أرقى ما تسمو به مقالاته المختلفة، والملاحظ على المقال السياسي احتواؤه على عدة مضامين فكرية متمثلة في هجومه الصريح و المباشر على المستعمر.

ب_ المقالة الاجتماعية

وهي تلك التي تعالج قضايا ومشكلات المجتمع انطلاقا من موضوعات مستمدة من روح الواقع، وهذا ما بنى عليه الإبراهيمي منهجه الإصلاحي، إذ كان يرى أن الإصلاح الدّيني لا يتم إلاّ بالإصلاح الاجتماعي أوّلا، فكليهما يكمل الآخر وقد كانت المجلات وفيّة من هذا الجانب حيث حملت بين طياتها الكثير من المقالات التي حاربت الانحلال الخلقي، وحاولت أن تبني معالم الشخصيّة الجزائريّة بناءا سليما ، وهذا ما نجده عند الإبراهيمي وهو يدرس المعضلات التي يتخبّط فيها المجتمع الجزائري محاولا استئصالها جذريّا بالقضاء عليها وهذا من خلال مقالاته الوهّاجة أخذت بيد الشّعب الذي هو بحاجة ماسّة لمثل هذه المساعدات التّنويرية، من أهمّها مقال حول الشّباب والزّواج بين أهميّة الزواج في بناء الأمم وتقوية نسلها"[50] وقد جاءت مقالاته مزيجا بين الجانب الاجتماعي و السّياسي والدّيني يتخذها كدعامة أساسية لبثّ أفكاره وآرائه الإصلاحية حول مختلف القضايا انطلاقا من الإسلام والعروبة وهما محور دعوته.

كما تطرّق إلى مواضيع أخرى تحدث فيها عن الطّلاق وما ينجم عنه من مساوئ و شتات على اختلاف أبعادها كل ذلك بأسلوب علمي موضحا فيه مدى انعكاس هذه المعضلات على المجتمع بطريقة تحليلية تنقيبية مع عرض الدّليل اللاّزم للتّغيير ونأخذ بعض العناوين لبعض المقالات: " الصدق وهل له حل؟ "،" أعراس الشيطان "...الخ.

تمكّن الإبراهيمي من الغوص في المجتمع الجزائري ومشاكله المختلفة العديدة وهذا بفضل عبقريّته الفذّة فقد كان شجاعا في قول الحق والوقوف في وجه الاستعمار مندّدا

---

[50]–محمد ناصر بوحجام: من مجلة الموافقات، ص183.نقلا عن: محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص167.

بالأخطاء رافضا للمصالحات الزائفة. فكلّ كتاباته تصرح وتتأسف على الذين باعوا ضمائرهم مقابل لقاء ثمن رخيص.

ج- المقالة الأدبية

تبرز فيها ذاتية الكاتب إذ تتميز بجمالية الأسلوب وسلاسة اللّغة، وقوّتها وانسجام موسيقى الألفاظ مع المعاني والصور، فتأتي عفويّة بعيدة عن التّكلف والصّنعة المكرهة التي تمجّها الأنفس.

يعتبر هذا اللون الأدبي من المقالات الأكثر بروزا في أدبه، كما قد اشتهر بها كتّاب الحركة الإصلاحية، التي يبرز فيها الإبراهيمي أديبا بالمفهوم الحقيقي و الدقيق ويشدّ الانتباه هما: "مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة "و"تحية غائب كالأيب" التي نشرت في العدد تسع وعشرون ومائتان-229-في سلسلة البصائر. والتي يقول فيها: "حيّ الجزائر عنّي ياصبا...واحمل إليها منّي سلاما تباري لطافته لطافتك، وتساوي لطافته لطافتك، فقديما حمك الكرام الأوفياء مثل هذه التّحية إلى من يكرم عليهم أو ما يكرم عليهم، فحملتها زوجا واديتها بوحا واعتنتها شذى وفوحا، وكنت بريد الأزواج إلى الأرواح، بألفاظ غير مكتوبة ومعان غير مكذوبة، وقديما أفضى إليك الشّعراء بشجونهم"[51].

د_ المقالة الدينية

لمّا كان شعار جمعية العلماء ملخصا في: "الإسلام ديننا و العربية لغتنا"، فإنّنا نجد مقالاته ذات صبغة دينية إصلاحية، يقول الإبراهيمي: "إنّ المقالات الدينيّة الّتي كان المصلحون يكتبونها كانت مشبعة بالنزعة الإصلاحية المتحررة الداعية إلى ربط الأعمال بالأقوال، وتطبيق المبادئ الدينية في مجالات الحياة"[52].

ذلك لارتباط قضية الدّين مباشرة بمسألة النّهوض بالوطن وتخليصه من قذارة التّخلف والتّحرر من الاستعمار ، فقد عالج الإبراهيمي عدة موضوعات دينية ذات طابع إصلاحي هادفة كلّها إلى توعية الضّمير والعقل، كما دعا فيها إلى إتباع الطّريق الصّحيح إلى الدين عقيدة وعملا، لأنه الحل الوحيد لكل مشكلات الأمّة الإسلامية، ومن ثمّ كانت ثورته على

---

[51]- أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص181.

[52]- عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر ص154.

رجال الدّين في الجزائر لتطهير الدّين من بؤرة فساد رجاله ، فالطّرقيّة نوع من أنواع الاستعمار الثقافي والفكري إذ يقول:

"لعمرك إنّ الطّرقيّة في صميم حقيقتها احتكار واستغلال للمواهب والقوى و استعمار بمعناه العصري الواسع، واستبعاد بأفظع صوره و مظاهره".

ومن آثار الطّرقية هي قضيّة القباب والمرابطين وهي جدّ خطيرة وهذا لأنّها تشويه ومساس بالدّين والعقيدة ،كما يضيف قائلا: "يجري كلّ هذا و الأشياخ يقدّس ميتهم وتشاد عليه القباب وتساق النّذور ويتمرّغ بأعنابه ويكتحل بترابه، ونلتمس منه الحاجات وتفيض عند قبره التوسّلات والتضرّعات، ويكون قبره بعد الممات كما كان شخصه فتنه في الحياة".[53]

.

[53]–أحمد طالب الإبراهيمي: المصدر السابق، ج1، ص 172.

الفصل الثاني

الفصل الثانـي

أهم القضايا الإصلاحية في خطبة
"الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي"

أولا: الدراسة الفنية

ثانيا: الأسلوب

ثالثا: اللغة

رابعا: التصوير

أولا: الدراسة الفنية

إنّ الإنجاز الاجتماعي الذي عرف به البشير الإبراهيمي هو إلقاؤه لخطبة ألا وهي خطبة "**الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي**" وهي لعمره حقيقة ساميّة يشهد له بها الشّعب الجزائري ومن خلال الخطبة تبيّن عبقرية التّفكير والانجاز عند المصلحين الجزائريين.

وهذه الخطبة تعبر عن اهتمام وانشغال البشير الإبراهيمي بالمشكلات الاجتماعية التي طالما عايشها وعالجها وحرص على تمتين أواصر المودّة والقربى بين الجزائريين والدّليل على أنّ: "الإسلام دين واجتماع" أي أنّه يتعامل مع الجماعة وأنّه لا معنى أن تتكلم فئة من النّاس الفقه والدّين والمتون العلمية ولا يبالون بما حولهم ولا يحاولون تشكيل جماعات والتعامل مع بعضهم، وقد كانت رسالة البشير الإبراهيمي من خلال خطبة في المغرب العربي أن يؤلّف ويكوّن جماعات ورابطة بينهم، وقد تحقّق أن اجتمعت إليه فئات مختلف الشعب فتآلفوا وتعارفوا وتآخوا، قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾[1](آل عمران 103) ولتحقيق ذلك كان يحرص على تفسير القرآن الكريم وهذا بتوعية الشّعب على تعاليم الدين وقواعده وهذا بدار الحديث تلمسان، كان يربط المعاني القرآنيّة بالمعاني الاجتماعيّة تحفيزا وتشجيعا للمسلمين، كان يربط المعاني القرآنية بالمعاني الاجتماعية تحفيزا وتشجيعا للمسلمين أن ينتقلوا من ضيق الاستعمار إلى فرج ووساعة الإسلام الذي يريده لهم وتريده لهم الجمعية وهذا من خلال الإرشاد ومحاربة الفساد والاستبداد وهذا راجع إلى أصل جامع وغاية شريفة وهي تحقيق أواصر الأخوة بين المسلمين وربطهم بدواعي الاجتماع فيستقيموا على طرقة مثلى من: التّعاون والتّآزر والكسب والفقه بالواجبات والحرص على الحقوق وآدائها والتمسّك بها.

وجاء في هذا الصدد الآية القرآنية: ﴿**وتعاونوا على البرّ والتّقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتّقوا الله إنّ الله شديد العقاب**﴾[2] **(المائدة 2).**

---

[1]– سورة آل عمران: الآية 103.

[2]–سورة المائدة: الآية 2.

وقال تعالى في آياته المحكمات: ﴿**كنتم خير أمّة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله**﴾[1] **(آل عمران 110).**

فالآية توحي إلى أن المخاطبين بما يفضلون على سائر الأمم، وإنما نالوا هذه الأفضلية بميزة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله وهذا في سبيل صلاح الأمة وإبعادها عما تخل بالإسلام.

افتتح خطبته بقوله: "**أيّها الإخوان**"، وقد خاطب الجمعية ونادى بالنّضال والجهاد والتّضحية من أجل الوطن وهذا من خلال الإصلاحيات والأعمال التي يقومون بها من أجل نجاح الجمعية واتّساعها وتحقيق غاياتها فقد ساهمت في انتقالها من الفوضى والاضطرابات إلى التّنظيم والعمل الدّقيق وهذا في تنفيذها بتعليم الناس وإرشادهم وتصحيح أمور دينهم واستنهاض همم العلماء وهذا للدّفاع عن الجزائر وعن مقوّماتها والتّصدي لإفشال سياسة الاستعمار وإصلاح الأوضاع الثقافية والاجتماعية والسياسيّة، والسعي إلى تحقيق يقظة فكريّة، وبعث شعور قومي، ووعي سياسي وديني، يدفع الحركة الإصلاحية إلى الأمام، ويفضل الجمعية خابت مؤتمرات أعداء المصلحين، ورد الله كيدهم في نحورهم، وقد تأسس المجلس الثاني من رجال جمعت بينهم الرغبة الصادقة في الإصلاح والتعاون على البر والتقوى، فلم يدخروا جهدا في سبيل تحقيق غايتهم النبيلة وسادت بينهم مبادئ الأخوة الصادقة فحقق الله على أيديهم خيرا كبيرا للعباد والبلاد.

وفي قوله: "**إن –أيّها الإخوان– أحاول في موقفي هذا أن أقصى عليكم طائفة من الآثار المشهودة والغايات المحمودة التي وصلت إليها جمعيتكم في بضع سنين، وأحاول أن أشرح لكم النّواحي التي لقيت فيها النجاح، والميادين التي صادقت فيها الفوز**"[2].

فهو من خلال قوله هذا يركّز على النّتائج والأهداف التي وصلت إليه الجمعية في بضع سنين فقد استطاعت التّحدي ونشر الفكر الإصلاحي في المجتمع الجزائري بنشر الجرائد والمجلات وكان الهدف من نشرحها الإصلاح وبثّ الوعي في نفوس الناس، خطتها إصلاحيّة ووطنيّة مقاومة للفساد الاجتماعي والإداري مثل: جريدة "**المغرب العربي**" وجريدة "**الحق الوهراني** "و "**البلاغ الجزائري** " وجريدة "**الوفاق**" التي كانت تخدم

---

[1]– سورة آل عمران: الآية 110.

[2]–أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج1، ص 282.

العروبة والإسلام وكذلك جرائد أخرى مثل:"**المنتقد**"و"**الإصلاح**" و"**الشهاب**" و"**البصائر**". وقد طرأ تطور فكري على عقول الناس.

وكانت الجمعية غايتها الأساسيّة الإصلاح الدّيني وذلك في معالجته للقضايا الاجتماعية وهذا في سبيل إصلاح اجتماعي يحقق للأمّة غايتها في الصّلاح وذلك في قوله: "**أيّها الإخوان: من الغلط أن يقال إنّ جمعية العلماء جمعية دينية يجب أن ينحصر عملها في الإصلاح الديني بمعناه الذي عرفه الناس ومن فروع هذا الغلط ما رماه به بعض مرضى العقول وصرعى الجهل من أنها خرجت عن مدارها حين زجّت نفسها في بعض شؤون الحياة غير الدين**"[1].

ومن خلال هذا فإن "**الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي**" فإذا صلح المجتمع صلح الدّين كلّه ولهذا عملت الجمعية مند تكوينها على الإصلاحيين المتلازمين كما في قوله فإنه يبث بهذا في براعة وإحكام ارتباط الدين بالحياة الاجتماعية وشمول الإسلام ما يتعلق بحياة الإنسان.

وتبعا لقوله: "**ويرى لنفسه من العزة والقوة ما يرونه لأنفسهم وترتبط بينه وبينهم رابطة الأخوة والمساواة والمصلحة لا رابطة السيادة عليه والاستئثار دونه**"[2].

فالإنسان أخ الإنسان وهو الدّستور الذي ينظّمها، تربط بينهم أواصر الأخوّة والوحدة والمصالحة وبهذا تتحقّق المودّة بين الأفراد والجماعات.

وقد قال في خطبته: "**إنّ طبيعة الأوّلين لا تبدل إلا بعد تبدّل طبيعة الآخرين وإنّ الحقوق التي أخذت اغتصابا لا تسترجع إلا غلابا**"[3].أي أنّ الّذي يؤخذ بالقوة لا يسترجع إلاّ بالقوّة وأنّ أيّ شيء لا يأتي هكذا سدى دون عناء بل يأتي بالتّعب والشّقاء والقوّة، وقد اقتبس قوله هذا من قول الشاعر أحمد شوقي:

و ما نيل المطالب بالتمني* ولكن تؤخذ الدنيا غلابا**[4].

---

[1]–أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 282، 283.

[2]–المصدر نفسه: ص283.

[3]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص283.

[4]– ديوان أحمد شوقي: دار صادر بيروت، ج1، (د.ت)(د.ط) ص60.

أي أنّ الإنسان لا يتمنّى شيئا ويبقى مكتوف اليدين بل أي شيء في الدنيا لا يأتي بالتمني وإنّما يأتي غلابا وبالاجتهاد والمثابرة وبأخذ الأسباب وتجاوز المعيقات والإرادة القويّة للوصول إليه.

فالإصلاح بالنّسبة للجمعيّة أن تكون مسلما وتتّبع الإسلام وقواعده وتتبع ما جاء في القرآن الكريم من تعاليم وفروض وواجبات وبهذا نجحت الجمعية في إصلاح عقيدة الشعب الجزائري وتطهير نفوسهم وتعميق هويتهم من أجل النّزوع نحو الفضائل.

وظلّ الإبراهيمي يلقي خطبته في تفاعل حتى وصل إلى قوله: "**أصبح المنتسبون إلى الإصلاح ولو من العامة يخلصون لله في عباداتهم وإيمانهم ونذورهم وأدعيتهم، ونبذوا كلّ ما كانوا عليه من عقد فاسد أو قول مفترى أو عمل مبتدع في هذه الأبواب كلّها، وأصبحوا يفرقون بين السنة والبدعة والمشروع وغير المشروع ويعتقدون أن الإنسان مجزي بعمله رهن بكسبه**"[1].

فهل الإصلاح بمعنى الانتساب إليه أم العمل من أجله؟

فإن الإصلاح هو الانتساب للجمعية والعمل من أجل التّأثير في عقول أفراد المجتمع وتحفيزهم على العمل صوبه، وهذا من خلال نشر شروط بوادر الإصلاح وإلقاء الدروس والمحاضرات كما قال الإبراهيمي في خطبته.

هل الإصلاح عبارة عن خطب رنّانة فقط أم مشروع تربوي؟

يعتبر الإصلاح مشروع تربوي –أيضا– وليس مجرّد خطب رنّانة يلقيها الخطباء على المستمعين دون التّأثير فيهم بل إبعادهم عن كل عقد فاسد أو قول مفترى أوعمل مبتدع وهذا ما سعى وراءه المصلحين وما اتبعه المنتسبون للإصلاح فأصبحوا يفرقون بين الصالح والطّالح من الأعمال وكل مشروع وغير مشروع.

ولقد استطاعت الجمعية مواصلة نجاحاتها في الإصلاح وهذا من خلال القرآن الكريم بتمسّكها بكتاب الله وما جاء فيه وممّا جاء في هذا الصدد ما يلي: "**نجحت الجمعية أيضا في الفات الأمة إلى القرآن وفي جمعها عليه وحملها على التدبر في معانيه، لتأخذ منه كل نفس على قدر استعدادها وتستنير من عبره وزواجره ما يسوقها إلى الخير ويزعمها عن الشر حتى يكون المؤمن مسوقا بالقرآن مدبرا به**"[2].

---

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي: المصدر السابق، ج1، ص 284.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 284.

فالإصلاح الديني مصدره القرآن فالإصلاح قام بتصحيح العقيدة وتربية المجتمع على التمسك بأصول الإسلام وبكتاب الله وسنة نبيّه، وقد أثر القرآن الكريم في العقول والنفوس والقلوب ومنع من كل ما يهدف إلى الفساد، فهو سبيل الهداية والأمن والاستقرار والسموّ عن الرذائل في قوله تعالى: ﴿**إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هي أقوم وبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجرا كبيرا**﴾[1](الإسراء 9).

كما نجد أنّ الجمعية نجحت في نشر سير عظماء الإسلام، يقول البشير الإبراهيمي في ذالك: "**نجحت الجمعية كذلك في نشر سير عظماء الإسلام اللذين قاموا بحمله ، واللذين قاموا بنشره، والذين قاموا بتمثيل هدية وتطبيق قواعده وأصوله في النفوس بالتزكية والتهذيب، وفي العقول بالتنويه والتأديب، وفي الأمم بالتعليم والرفق والتسوية، وفي الأرض بالتعمير والأمان وفي الحكم بالعدل والإحسان، وفي الملك بالعزة والقوة**"[2].

إنّ عظماء الإسلام ضحّوا بأنفسهم من أجل إصلاح الأمم بتزكيّة والتّهذيب وتنويه العقول وتعليمها وزرع الأمن والأمان والعدل والإحسان...إلخ.

وعلينا الاقتداء بهم و إتّباعهم لأنّهم معالم طريق هداية وإصلاح وذلك في غرار قوله: "**وإنّ سيرة الواحد من هؤلاء لهي الإسلام كاملا مجسما، وإن مثال هؤلاء الرجال هم الذين علينا أن نجلو سيرتهم على الناس ونتلو أخبارهم وتنقصاها ونحمل أنفسنا على الاقتداء بهم وتأثر خطاهم في كل شيء والنفوس تؤخذ بالجبلة والطبع، وان أمثال هؤلاء هم عماد التاريخ الإسلامي الذين تبذل الجمعية جهدا غير قليل في إحيائه بهذا الوطن...**"[3]

وهذا لأنّهم كانوا السّبب في رجوع الأمم على ما كانت عليه سابقا وتخطّي محنتها من الضّلالات والخراب إلى النور والعمار لهذا يجب ذكرهم على كل لسان في تاريخنا الإسلامي لأنّهم له وهذا ما كرّست الجمعية مجهوداتها من أجله وعلينا التأسّي بهم لأنّهم:

- معالم طريق هداية وإصلاح.
- لأنهم نيران الحق واليقين.

---

[1]– سورة الإسراء، الآية 9.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي:المصدر السابق، ص 285.

[3]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 285.

- لأنهم كانوا السبب الوجيه في عدول الأمة على ما كانت عليه من ضلال وجهل وخرافات إلى طريق هداية وإصلاح.

وإن من العجيب والغريب أن الأمم الإسلامية منها من مازال يذكر تلك الأسماء التي نالت حظا من الشهرة وتقديسها رغم أنها غير معنية بالإصلاح وفي ذلك من خلال قوله:"**ومن العجيب إن الأمم الإسلامية- وهي أغنى الأمم في باب الأسماء العظيمة كانت وماتزال الكثرة منها تختفي بأسماء نالت في جنون من الدهر وعريده من التاريخ واضطراب في العقل-حظا من الشهرة بما لا يشرف قدرا ولا يعلى منزلة ولا يثير ذكرى حية، وأفاضوا على هذه الأسماء صيغة من التقديس وجعلوها معاقد لإيمانهم وإعلاما لولادتهم.**"[1]

ولقد نجحت الجمعية-أيضا-ولم تنس مسألة هوية اللّغة العربية وقال البشير الإبراهيمي في هذا السّياق من خلال خطبته: "**ونجحت الجمعية -أيها الإخوان- في إلفات الأنظار إلى شيء لم يكن بيننا منسيا، إن كان مجفوا وهو هذا اللسان العربي الشريف الذي هو قطعة من كياننا التاريخي وشرط أساسي لوجودنا القومي وشهادة قاطعة بصحة نسبنا الديني ونسبنا الجنسي.**"[2]

فالجمعية هنا اعتبرت اللغة العربية هي جزء لا يتجزّأ منّا يجب المحافظة عليها وتحصينها فقد ربطت الجمعية اللّسان العربي بالكيان والهوية لأنّ الكيان التّاريخي للشعب الجزائري وهويته لها صلة وثيقة باللسان العربي فقد حافظت ولم تنس الجمعيّة اللغة العربية فلم تترك مجالا للمساس بها وبأصالة الشعب الجزائري وجنسه العربي ولغته الشريفة لغة القرآن الكريم.

وقد صرّح البشير الإبراهيمي على مشكلة الانتساب وعلاقاتها بالعرب والتاريخ وهذا في قوله: "**وإن من العار الفاضح أن يفخر الواحد منا بانتسابه إلى العرب ، وقد أشرفت هذه اللغة الشريفة على الاضمحلال بهذه الديار لولا أن تذاكرها جمعية العلماء وأخذت بيدها وانتشلتها من الحضيض الذي وصلت إليه.**"[3]

---

[1]- المصدر نفسه: ص 285.

[2]- أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 285-286.

[3]-المصدر نفسه: ص286.

فالعربي الحقيقي هو الذي يكون عارف بلغته كي يكون انتسابه للعرب والعروبة الحقيقية ويكون عارف بتاريخه، وقال أن اللغة الشريفة لولا الجمعية لانتشلتها يد الاحتلال إلى الحضيض وهذا الاشتداد شراسته ومبالغته في محاربة وتسوية وطمس اللغة العربية ومحاربة الدين الإسلامي والتمكين للتخلف الذهني والشعبذة لدى الناس.

ولقد استطاعت الجمعية أن تصل إلى هدفها المنشود ألا وهو إصلاح عقيدة الشعب وتنقيتها من الخرافات والشّعوذة والدّجل والبدع وتطهيرها من مظاهر التّخاذل والتّواكل والخوف إلاّ من الله عز وجل والكفاءة من التنمية وتعليم العزة الإسلامية وكرامة النفس.

ويبيّن ذالك من خلال قوله: "**وبأنّها نجحت في دعايتها إلى العلم النافع الصحيح وفي دعايتها إلى العلم النافع الصحيح وفي دعايتها إلى الإسلامية الحقيقية –وبأنها انتصرت في حملتها على الخرافات والأوهام والدجل وانتصرت أو كادت في حربها للجمود والعوائد الضارة والتقاليد السخيفة– وبأنها أفلحت في تربية الأمة على عدم الخوف إلا من الله والرهبة إلا منه...وفي تحبيب الدين وشعائر الدين إلى طوائف من الشباب المهمل وإشرابهم معنى العزة الإسلامية وكرامة النفس**"[1].

وإذا عدنا إلى النزوع الأخلاقي فالبشير الإبراهيمي يقول في هذا الصدد:"**وإذا رجعنا إلى الأخلاق،أيها الإخوان، وجدنا نجاح الجمعية ظاهرا في جمهرة من الأخلاق الفاضلة غرستها في نفوس الأمّة الجزائرية، فجمعية العلماء هي التي علمت الأمة خلق التضحية في الصالح العام ،وخلق الصبر عليه ومطاولته وخلق القصد في الاعتقاد والتفكير خلق الاعتماد على النفس،وخلق الصراحة في القول والجرأة في الرأي والكلام إلى ما يتصل بهذه الأخلاق من فروع ولوازم.**"[2]

فقد قامت الجمعية بترقية الشعب من وهنة الجهل والسّقوط الأخلاقي إلى أوجّ العلم ومكارم الأخلاق في نطاق دينها الحق وبهداية نبيّنها الأميّ ليتمّ مكارم الذي بعث ليتمّم مكارم الأخلاق صلاة الله عليه وآله وصحبه أجمعين، وعلّمت الجمعية الأمة الجزائرية الصّبر إلى غير ذلك من الأخلاق التي غرستها الجمعية في نفوس شعبها.

واستعمل البشير الإبراهيمي من خلال خطبته كلاما فقال:

---

[1]–أحمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1،ص 286.

[2]– المصدر نفسه: ص 286.

" **أيّها الإخوان: إنّ أغرب ما يؤثر عن جمعيتكم بل هو أول ما نجحت فيه هو إثبات وجودها في وقت كانت تتناثر فيه الجمعيات كحب الحصيد ،وتتهاوى المشاريع كأوراق الخريف، والاحتفاظ بتوازنها في طريق غاصّ بالعواثير، وتسييرها لسفينة الحقّ في بحر مضطرب الأمواج وثباتها في وجه الباطل في وقت تكالب فيه الأعداء وتخاذل الأولياء، فهنا العبرة البالغة للمعتبرين، وهنا الموضوع الخصيب للباحثين المستنتجين.**"[1]

عبّر هنا عن مدى نجاح الجمعية رغم المضايقات الشّديدة من طرف الاحتلال وتحقيق النّجاح الكبير في تصحيح عقائد الجزائريين وتطهيرها من شوائب الشّرك والرجوع بهم إلى منابع الإسلام الأصليّة،وكتاب الله وسنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يستنيرون بها في دينهم ودنياهم، مقدّمة لهم العلم النّافع، فالتفّ حولها الشّعب وآزرها وأيّدها في وقت كانت تتناثر فيه الجمعيات كحب الحصيد كما قال رجل العلم الذي ساهم في هذه الجمعية المباركة.

أما في ختام خطبته فقد أوجز فيها جلّ كلامه وقد كان منتقدا لذاته ولآثار الجمعيّة في عرض خطبته وهذا في قوله:"**أيّها الإخوان: هذه لمحات مقتضيه غير مرتبة ولا متناسقة من آثار جمعيتكم قصصناها عليكم إدلالا بالعمل، فهو في ذاته قليل، ولا افتخارا بالنتائج فوراءها ماهو أكمل منها وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا**"[2].

فهو هنا غير مقتنع بما قاله في أثار الجمعية ويرجو أن تبلغ الكمال وتصل إلا عظائم الأعمال.

وإنّ البشير الإبراهيمي في ختامه لخطبته تحدث عن الإقدام والاتحاد وهذا في قوله: "**وقد فزعت بالأمس فهببتم هبة رجل واحد كلكم يذود وكلكم يحمي،وإن لهبتكم تلك المعنى عرفه أعداء الجمعية فأطرقوا**"[3].

فمن وراء كلامه يعبّر عن رجالات الجمعيّة فكانوا رجلا واحدا متّحدين عازمين للوصول إلى المبتغى المرجو مع الأجيال.

وقد تحدّث عن مسألة الامتداد والتّواصل في قوله:"**فهل أنبئكم أن تلك الهيئات هي**

---

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج1،ص 286.

[2]– المصدر نفسه: ص 287.

[3]– المصدر نفسه: ص 287.

الامتداد التي تمتد الجمعية بالحياة والبقاء والبركة والنماء."[1]

فبالتّواصل فيما بينهم يمدّ الجمعية في عمرها وبقائها ويزيدها بركة ونماء، فالخطبة إصلاحية ذات تفكير موضوعي منهجي واضح، وتحليل منطقي مقنع وعنيف في مواجهة الخصم، لكن فيها من الحكمة في الإبلاغ والوعظ والنّصيحة وهذا ما أدّى بها إلى نجاحها والوصول إلى قلوب وعقول ونفوس الشّعب الجزائري وإخراجه من الظّلام الّذي كان فيه.

ثانيا: الأسلوب

لقد تميّز أدب البشير الإبراهيمي بالثّراء الفنّي والتنوّع في الموضوعات والقضايا المختلفة إضافة إلى أصالة الجذور فهو الذي حفظ المتون وهضم التراث والقرآن الكريم، فانطبع أسلوبه بالطّابع الإسلامي البحث، وعصرنته للمضامين من قلب المجتمع الجزائري ومهارته في سبك الأساليب ورصانتها.

إنّ الباحث في أدبه تستوقفه العديد من المحطّات الخصبة سواء على مستوى اللغة أوعلى مستوى الأسلوب أو على مستوى التّصوير، والذي يقرأ للبشير الإبراهيمي يجد

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج1، ص 287.

نفسه أمام أسلوب كأنه أسلوب فحول البيان العربي في أزهى عصوره، مع كثير من التميّز والأصالة والإبداع.

أسلوب يتميّز بالخفّة والأناقة، والقوّة والرّصانة، فيه جزالة الألفاظ وقوّتها، وتناسق العبارات وتجانسها وتآلفها، وكرم المعاني، وعلوّها وتألّقها، وأصالة اللّغة وفصاحتها وفخامتها.

وذلك على غرار قوله في خطبته "الإصلاح الديني لا يتم بالإصلاح الاجتماعي": "**ولقيت من العوارض والعوائق ما ذللته العزائم ومهدته الهمم...لرأيتم معنى عاليا من معاني الحفاظ الكمينة في هذه الأمة الفقيرة إلا من الشرف والعزلاء إلا من العزائم ... ولكن الله سلم وألهم الرشد فأريناهم كيف يكون الصبر في الشدائد وكيف يكون التنبيه للمكائد، وأذقناهم مرارة الخيبة وغصص اليأس وكنا نحن الفائزين**"[1].

ومن مظاهر أسلوب البشير الإبراهيمي، كذلك التأنّق والتفنّن ومثال ذلك قوله: "**أما وقد تمّ كلّ ذلك فقد وجب أن نقف على رأس هذه الأعوام الخمسة ونستعرض الأعمال التي تمت فيها على يد الجمعية استعراض المعبر بماضيه وحاله، الموازن بين أعماله وآماله، المستبصر في مبادئه ومصائره المغتبط بما قدم من صالح، وإن قلّ، المستشرف للعظائم وإن هالت وجلت.**

نقف لا لنعدّ الأيام والشّهور، ولكن لنعدّ الأعمال ونزن الأعمال بآثارها وترى إلى أيّ حدّ في النجاح وصلنا، وعلى أية درجة في الإصلاح حصلنا"[2].

فنحن نلاحظ في هذه القطعة مقدار حرص الإبراهيمي على التأنّق في الشكل والتفنّن في الصّياغة، بالتزامه ما لا يلزم من الإيقاع، ولكنّنا لا نرى في المعاني وفخامة ورصانة في الأسلوب.

ونلحظ أثر الجهد باديا في هذا الأسلوب، فتارة محاولة اصطناع السّجع، هذا يؤكد خصوبة ملكته اللغوية وتبحره في أغوار اللغة العربية، بل وقدرته العجيبة على توليد المعاني والألفاظ وجعلها منسجمة تسير على وتيرة واحدة، وتارة أخرى في محاولة تكرار الحال وتعدادها في صدر النص، وطور بالإلحاح على المعنى الواحد بالألفاظ الكثيرة كما جاء في قوله:

---

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 281.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي: أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 281، 282.

"**وإنّ الأعمال التي يريدها هؤلاء من الجمعية ويصح إطلاق اسم الأعمال عليها في عرفهم، مدارس عديدة تشاء، ودروس مختلفة تلقى، وأموال طائلة تجمع، ومرتبات ضخمة تفاض وبعثات علمية تنظم، ومشاريع علمية تؤسس، وصحف متنوعة تنشر، ودراسات منظمة تذاع في الأمة، ومواقف خالصة تنجلي عن قوة القوي وضعف الضعيف.**"[1]

فمعظم هذه الجمل متساوية في الألفاظ، متشابهة في الفواصل، واصطلاح الجمل القصار، والإلحاح على المعنى الواحد بألفاظ كثيرة.

كما يستخدم ألفاظ أنيقة غالبا، ينتقي الألفاظ الفخمة، للمعاني الضخمة،ليضفي على خطبته هالة من الإجلال والإكبار حتى يقنع سامعيه ومتلقّيه بجديّة الموقف وعظمة الأمر، ويتضح ذلك في قوله: "**ويا الجاهلين، أيريدون من كلمة الإصلاح أن نقول للمسلم قل: لا إله إلا الله مذعنا طائعا وصل لربك أواها خاشعا، وصم له مبتهلا ضارعا، وحج بيت الله أوابا راجعا، ثم كن أواها خاشعا، وصم له مبتهلا ضارعا، وحج بيت الله أوابا راجعا، ثم كن ما شئت نهبه للناهب وغنيمة للغاصب، ومطية ذلولا للراكب، إن كان هذا ما يريدون فلا ولا قرة عين**"[2].

كذلك عبّر عن التّهويل والتّنظيم والتّفخيم والتّقديس والتّهييج، ما هو واضح وباد في قوله: "**وإن سيرة الواحد من هؤلاء لهي الإسلام كاملا مجسما، وإن أمثال هؤلاء الرجال هم الذين يجب علينا أن نجلو سيرهم على الناس ونتلو أخبارهم وتنقصاها ونحمل أنفسنا على الاقتداء بهم وتأثر خطاهم في كل شيء، والنفوس تؤخذ بالاحتذاء والمحاكاة أكثر مما تؤخذ بالجبلة والطبع، وإن أمثال هؤلاء هم عماد التاريخ الإسلامي، الذين تبذل الجمعية جهدا غير قليل في إحيائه بهذا الوطن**"[3].

ولو حاولنا أن نستنتج شيئا من هذه الخصائص الفنيّة العامّة ونبحث عنها في خطبة البشير الإبراهيمي "الإصلاح الديني إلا بالإصلاح الاجتماعي" لما ألفيناها تندّ عن هذا أوتشذ، فاللّغة أنيقة عالية، والأسلوب جميل صقيل، والمعاني فخمة ضخمة في الغالب، وكان الاقتباس من القرآن الكريم باد من خلال كلامه، وألفاظه كذلك كلمات من الأبيات

---

[1]– المصدر نفسه: ص 282.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي: أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 283.

[3]– المصدر نفسه: ص 285.

الشعرية المشهورة في الأدب العربي، وهكذا لا حظنا بروز هذه الخاصيّة المتمثّلة في التأنق في الأسلوب من خلال هذه الخطبة فلعلّ فيما استشهدنا به ما يعطينا صورة صغيرة واضحة عن هذه الخاصيّة الفنية.

ثالثا: اللغة

لغته خطابيّة، تكاد تكون ملازمة للبشير الإبراهيمي في كل نتاجه الأدبي، إذ تتحكّم فيها مواقفه وآراءه وشخصيته، فهو رجل إصلاح، فالكاتب كي يستطيع إيصال أفكاره للجمهور لابدّ لمثل هذا اللّون اللّغوي، لذا تغلب كثيرا على أدبه، وقد اتصف به الأدب العربي الحديث في الجزائر من نزعة تعليمية واضحة، والتعليم أو النصح أو التربية أوالتوجيه، وهي ألفاظ ذات معان متقاربة، أمور لا تتمّ بدون اصطناع لهجة خطابية معينة.

والحق أنّ الباحث لا يكاد يقرأ مقالة من مقالاته أو رسالة من رسائله، أو خطبة من خطبه، دون أن يعدم فيها هذه اللّهجة الخطابية المتمثلة في روح الكلام أطوارا، وفي ألفاظه أطوارا أخرى.

ولنضرب لذلك أمثلة لتدعيم رأينا لما قال البشير الإبراهيمي في خطبته المدروسة:

" **أيّها الإخوان: أما قد تجاوزت جمعيتكم خمس مراحل من وجهتها الموفّقة**"[1].

"**إنّنا –أيّها الإخوان– لا نزن الأعمال بما هي عليه في أنفسنا ضخامة و ضؤولة، وإنما نزنها بآثارها المنبعثة منها المترتبة عليها**"[2].

وقال:" **إنّني– أيّها الإخوان– أحاول في موقفي هذا أن أقص عليكم طائفة من الآثار المشهودة والغايات المحمودة التي وصلت إليها جمعيتكم في بضع سنين**"[1].

---

[1]– أحمد طلب الإبراهيمي: أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 282.

[2]– المصدر نفسه: ص 282.

وقال مرة أخرى:" **أيّها الإخوان: من الغلط أن يقال إنّ جمعية العلماء جمعية دينية يجب أن ينحصر عملها في الإصلاح الديني بمعناه الذي عرفه الناس**"[2].

وكان كذلك في قوله: "**ونجحت الجمعية –أيها الإخوان– في إلفات الأنظار إلى شيء لم يكن بيننا منسيا**"[3].

" **أيّها الإخوان: إنّ جمعيتكم تفخر بأنها نجحت في جمع طوائف عظيمة من الأمة الجزائرية على الحق بعد أن كانت كلها متفرقة على الباطل**"[4].

" **أيّها الإخوان: إنّ أغرب ما يؤثر عن جمعيتكم بل هو أول ما نجحت فيه...**"[5].

" **أيّها الإخوان: هذه لمحات مقتضيه غير مرتبة ولا متناسقة من أثار جمعيتكم صغناها عليكم لا إدلالا بالعمل**"[6].

فهو من خلال كلامه كرر لفظه "**أيّها**" مرات عدّة من أول خطبته إلى آخرها دلالة على النّداء وهذا لتأكيد كلامه وإيضاحه وللإقناع والتأثير في المتلقي ولهذا اهتم بالتّأنق في تأليف العبارة وتنسيقها والاهتمام بالألفاظ.

أحسن نموذج للكتابة التي تتجلى فيها اللهجة الخطابية، كأبرز وأقوى مانرى في كلامه وهو يخاطب الحاضرين في قوله: "**نقف لا لنعد الأيام والشهور، ولكن لنعد الأعمال ونرن الأعمال بأثرها ونرى إلى أي حد من النجاح وصلنا وعلى أية درجة في الإصلاح حصلنا.**

إنّنا –أيّها الإخوان–لا نرن الأعمال بما هي في أنفسنا ضخامة وضؤولة، وإنما نزنها بأثرها المنبعثة منها المترتبة عليها"[7].

وقوله مرة أخرى: "**أيّها الإخوان: من الغلط أن يقال إن جمعية العلماء جمعية دينية**

---

[1]– المصدر نفسه: ص 282.

[2]– المصدر نفسه: ص282.

[3]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 285.

[4]– المصدر نفسه: ص 286.

[5]ــ المصدر نفسه: ص 286.

[6]– المصدر نفسه: ص 287.

[7]– المصدر نفسه: ص 282.

تحب أن ينحصر عملها في الإصلاح الديني بمعناه الذي عرفه الناس"[1].

فهذا يثبت أنّ البشير الإبراهيمي كان يصطنع لهجة خطابيّة، ولكنّها غير مملّة ولا ثقيلة، لأنّ أسلوبه القوي المتحرّك، المتلوّن من حال إلى حال من البيان، إلى حال أخرى، من فترة إلى أخرى –أيضا–، كلّ أولئك مثّلت أمور جعلت هذا الأسلوب الذي يمثل مذهبا فنيا في الكتابة، حصانا من السماجة و الرّتابة، هذه اللّهجة الخطابية الّتي كانت ملازمة له في أحوال كثيرة، ورغم ما فيه أحيانا من أسجاع وبديع.

وإنّ خاصية الخطاب تبدوا بوضوح وقوة، إلاّ في كتابات البشير الإبراهيمي لأسباب أهمها:

- أنّ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي كان سيّد كتاب العربية في الجزائر، لاسيما فيما بعد الحرب العالمية الثانية، حتى نهاية هذه الفترة.
- أنّه كان خطيبا من الطّراز الثاني.
- أنّه كان يعتبر نفسه أبا للجميع، بحكم السنّ، والعلم، والسّابقة في النّضال الفكري، والأديب يخاطب أبناءه بلهجة المرشد المربّي، والمعلّم الموجّه، ومن كان كذلك لم يخل كلامه من صفات الخطابة، ولم تعدم كتاباته خاصية اللهجة الدّاعية، المتحمّسة الّتي يصحبها النّداء في كلّ العبارات التي تصلح للخطاب.

وإنّ البشير الإبراهيمي عمل على سبك المعاني وإخراجها في لفظ جميل وأسلوب بليغ والتّنويع في أساليب التّماثل والسجع أضفى على الخطبة جوّا موسيقيّا جميلا متنوعة الإيقاع لا تحسّ معها بالملل، فالهدف من الخطبة الدّعوة إلى الوحدة العربية، بتحريرها من يدي الصّهاينة المثالي لذا اتخذ من النزعة الخطابية لشحذ الهمم وإيقاظ الضّمائر العربية لإصلاح الواقع، لأن الموقف يتطلب السرعة، اعتمد على الجمل القصيرة ذات المعاني الموجزة.

رابعا: التصوير

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 282.

التّصوير ركن أساسي من أركان الأدب، وإجادته آية الشّاعرية والإبداع، وإيّما عمل أدبي يخلوا من هذا الجانب يفقد الكثير من الحيوية والجمال، ويغدو أقرب ما يكون إلى الكلام العادي.

والتّصوير ليس خاصية مقصورة على الشّعر، إنّه موجود في النّثر كذلك بل يمكن القول إن بعض النثر يكون على مقدار من جمال التصوير وروعة الخيال وحيوية الإيحاء، يصير به أغنى وأجمل وأبلغ تأثيرا من كثير من النّماذج الشعرية، والتصوير في خطبته البشير الإبراهيمي خاصية بارزة، وقدرته عليه قدرة فائقة، "تنبئ عن قوة مخيلته، وتحركها الدّائب المبدع بين عناصر الوصف"[1].

ومن سمات هذا التصوير ما جاء في خطبته المدروسة في قوله: "**أيّها الإخوان: أما وقد جاوزت جمعيتكم خمس مراحل من وجهتها الموفقة، وسلخت خمس سنوات من عمرها العامر بالصالحات**"[2].

فهي كناية عن نتاج الجمعية في وجهتها الموفّقة في مدّة خمس سنوات من تأسيسها، وشبّه الجمعية بإنسان في قوله: "**وقطعت خمسة أشواط في مبدئها الذي عاهدت الله على أن تبلغ غايته أو تموت في الدفاع عنه والنضال من دونه، ولقيت من العوارض والعوائق ما ذللته العزائم ومهدته الهمم**"[3].

فهو في هذه الفقرة شبّه الجمعية بإنسان عاهد الله أن يبلغ غايته أو يموت في الدفاع عن الوطن على سبيل الاستعارة المكنية فكانت مثالا عن التّشخيص والتّجسيد ليسهل على المتلقي استيعاب مبتغاه.

ومثلها في قوله: "**إلى أن كانت الحادثة الأخيرة التي ظن مدبروها أنها القاضية على الجمعية والخانقة لأنفاسها والفوضة لها من أساسها، فكانت عليها كنار الخليل بردا وسلاما**"[4].

حيث شبّه الحادثة الأخيرة والجمعية بشخصين يقتل أولهما الثاني فاعتبروها القاضية على الجمعية والخانقة لأنفاسها.

---

[1]– شكري فيصل: قضايا الفكر في أثار الإبراهيمي، مجلة الثقافة، ع 87، 1985م، ص 281.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 281.

[3]– المصدر نفسه: ص 281.

[4]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، ص 282

من خلال هذا نرى أن التّشبيه أدّى دورا كبيرا في خطبته البشير الإبراهيمي، إذ يأخذ حيّزا كبيرا في تحميل وتوشيح نتاجه، فهو يعدّ بحق: "أديبا مهتاج العلم فنّانا ويبدع في تركيب البيان العربي في أسمى صوره"[1].

وهو عندما يريد تصوير رأي النّاس في أعمال الجمعية فيبالغ في التشبيه بين صورة واقعية هي صورة أعمال الجمعية وصورة متخيلة هي صورة عود الكبريت أو خيط الكهرباء فيقول: "**وما أوتوا-عافاهم الله- إلا من غفلتهم من أثار الأعمال ونسيانهم أن من الأعمال ماهو كعود الكبريت جسمه ضئيل وأثره جليل أو كخيط الكهرباء جوهرة دقيق وعملة عظيم**"[2].

فهو هنا شبه أعمال الجمعية وآثارها بعود الكبريت، الذي هو صغير لكن إذا ما اشتغل فهو يفعل العجائب إذا آثارها جليلة وكبيرة، أو كخيط الكهرباء فهو دقيق لكنّه يفعل أشياء عظيمة فالجمعية عظيمة رغم عدم بيانها من قبل الناس.

وأحيانا يرتقي التصوير سلّم المبالغة، فيأتي غاية في الجمال فهو مثلا يمثل الظروف السياسيّة التي تكوّنت فيها الجمعية فيأتي بصورة لا يمكن أن تتحقّق في عالم الواقع، ولكنّها تمثل أدقّ تصوير للفكرة وأبلغ تعبير عن الغرض فيقول: "**ولو ذكر هؤلاء الأمة الجزائرية في طورها الحاضر ووضعها الحاضر، وذكروا كيف تساس القوانين الّتي بها تساس، وذكروا الجمعية وأنها تكونت في ليل من السياسة غاسق وجو من مكائدها قاتم**"[3].

فهو يصوّر قساوة الوضعيّة السياسيّة في ذلك الوقت الذي تكوّنت فيه الجمعية بليل غاسق ومكائدها بجوّ قاتم.

إنّنا نرى في هذه القطعة زيادة على إيقاعها الرائع وما فيها من المقابلات الجميلة، كثافة في الصور ودقّة في التّصوير، فكلّ ما يشغل البشير الإبراهيمي فردا وأمّة عبّر عنه وصوّره من خلال قوله:"...**ليبنوا حاضرهم الخرب على ماضيهم العامر**"[4].

---

[1]- عبد الملك مرتاض: الموسوعة التاريخية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية سنة 1984 م، ص83.

[2]- أحمد طالب الإبراهيمي، المصدر السابق، ج1، ص 282.

[3]- أحمد طالب الإبراهيمي: أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي, ج1، ص، 282.

[4]- المصدر نفسه: ص285.

ويتّخذها كأداة لصبّ جامّة غضبه ونقده والهجوم على الخصم بإبراز حقيقته بأسلوب لاذع وهذا من أجل الإسلام لإحيائه في هذا الوطن.

ننتقل إلى نموذج آخر وأخير، لنكشف أسلوبا آخر من أساليب التّصوير المركّب، وفيه "نلمح الصّورة وهي تنموا مرحليا فكــأنّ كلّ عنصر لبنة تنضاف إلى البناء، حينما تقرأ مفرداته بتمعن (و) كلّ عنصر يشير إلى نواحي الصّورة"[1].

يصوّرها البشير الإبراهيمي مصوّرا الجمعية في نجاحها فيقول: "**أيّها الإخوان: إنّ أغرب ما يؤثر عن جمعيتكم بل هو أول ما نجحت فيه، هو إثبات المشاريع كأوراق الخريف، والاحتفاظ بتوازنها عن طريق غاص بالعواثير، وتسيرها لسفينة الحق في بحر مضطرب الأمواج، وثباتها في وجه الباطل في وقت تكالب فيه الأعداء وتخاذل الأولياء، فهنا العبرة البالغة للمعتبرين، وهنا الموضوع الخصيب للباحثين المستنتجين**"[2].

فهو هنا صوّر مدى نجاح الجمعيّة رغم المضايقات الشّديدة، فصوّرها بحب الحصيد عندما يتناثر وأوراق الخريف عندما تتهاوي وصوّر الجمعيّة بسفينة الحقّ والمستدمر بالبحر المضطرب الأمواج.

أولا: الدراسة الفنية

إنّ الإنجاز الاجتماعي الذي عرف به البشير الإبراهيمي هو إلقاؤه لخطبة ألا وهي خطبة "**الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي**" وهي لعمره حقيقة ساميّة يشهد له

---

[1]– بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي، ص 131، نقلا عن عبد الملك بومنجل: النثر الفني عبد الإبراهيمي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، جوان2009م، ص 106.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي: المصدر السابق، ج1، ص 286.

بها الشّعب الجزائري ومن خلال الخطبة تبيّن عبقرية التّفكير والانجاز عند المصلحين الجزائريين.

وهذه الخطبة تعبر عن اهتمام وانشغال البشير الإبراهيمي بالمشكلات الاجتماعية التي طالما عايشها وعالجها وحرص على تمتين أواصر المودّة والقربى بين الجزائريين والدّليل على أنّ: "الإسلام دين واجتماع" أي أنّه يتعامل مع الجماعة وأنّه لا معنى أن تتكلم فئة من النّاس الفقه والدّين والمتون العلمية ولا يبالون بما حولهم ولا يحاولون تشكيل جماعات والتعامل مع بعضهم، وقد كانت رسالة البشير الإبراهيمي من خلال خطبة في المغرب العربي أن يؤلّف ويكوّن جماعات ورابطة بينهم، وقد تحقّق أن اجتمعت إليه فئات مختلف الشعب فتآلفوا وتعارفوا وتآخوا، قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾[1](آل عمران 103) ولتحقيق ذلك كان يحرص على تفسير القرآن الكريم وهذا بتوعية الشّعب على تعاليم الدين وقواعده وهذا بدار الحديث تلمسان، كان يربط المعاني القرآنيّة بالمعاني الاجتماعيّة تحفيزا وتشجيعا للمسلمين، كان يربط المعاني القرآنية بالمعاني الاجتماعية تحفيزا وتشجيعا للمسلمين أن ينتقلوا من ضيق الاستعمار إلى فرج ووساعة الإسلام الذي يريده لهم وتريده لهم الجمعية وهذا من خلال الإرشاد ومحاربة الفساد والاستبداد وهذا راجع إلى أصل جامع وغاية شريفة وهي تحقيق أواصر الأخوة بين المسلمين وربطهم بدواعي الاجتماع فيستقيموا على طرقة مثلى من: التّعاون والتّآزر والكسب والفقه بالواجبات والحرص على الحقوق وآدائها والتمسّك بها.

وجاء في هذا الصدد الآية القرآنية: ﴿**وتعاونوا على البرّ والتّقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتّقوا الله إنّ الله شديد العقاب**﴾[2] **(المائدة 2).**

وقال تعالى في آياته المحكمات: ﴿**كنتم خير أمّة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله**﴾[3] **(آل عمران 110).**

---

[1]– سورة آل عمران: الآية 103.

[2]–سورة المائدة: الآية 2.

[3]– سورة آل عمران: الآية 110.

فالآية توحي إلى أن المخاطبين بما يفضلون على سائر الأمم، وإنما نالوا هذه الأفضلية بميزة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله وهذا في سبيل صلاح الأمة وإبعادها عما تخل بالإسلام.

افتتح خطبته بقوله: "**أيّها الإخوان**"، وقد خاطب الجمعية ونادى بالنّضال والجهاد والتّضحية من أجل الوطن وهذا من خلال الإصلاحيات والأعمال التي يقومون بها من أجل نجاح الجمعية واتّساعها وتحقيق غاياتها فقد ساهمت في انتقالها من الفوضى والاضطرابات إلى التّنظيم والعمل الدّقيق وهذا في تنفيذها بتعليم الناس وإرشادهم وتصحيح أمور دينهم واستنهاض همم العلماء وهذا للدّفاع عن الجزائر وعن مقوّماتها والتّصدي لإفشال سياسة الاستعمار وإصلاح الأوضاع الثقافية والاجتماعية والسياسيّة، والسعي إلى تحقيق يقظة فكريّة، وبعث شعور قومي، ووعي سياسي وديني، يدفع الحركة الإصلاحية إلى الأمام، ويفضل الجمعية خابت مؤتمرات أعداء المصلحين، ورد الله كيدهم في نحورهم، وقد تأسس المجلس الثاني من رجال جمعت بينهم الرغبة الصادقة في الإصلاح والتعاون على البر والتقوى، فلم يدخروا جهدا في سبيل تحقيق غايتهم النبيلة وسادت بينهم مبادئ الأخوة الصادقة فحقق الله على أيديهم خيرا كبيرا للعباد والبلاد.

وفي قوله: "**إن –أيّها الإخوان– أحاول في موقفي هذا أن أقصى عليكم طائفة من الآثار المشهودة والغايات المحمودة التي وصلت إليها جمعيتكم في بضع سنين، وأحاول أن أشرح لكم النّواحي التي لقيت فيها النجاح، والميادين التي صادقت فيها الفوز**"[1].

فهو من خلال قوله هذا يركّز على النّتائج والأهداف التي وصلت إليه الجمعية في بضع سنين فقد استطاعت التّحدي ونشر الفكر الإصلاحي في المجتمع الجزائري بنشر الجرائد والمجلات وكان الهدف من نشرحها الإصلاح وبثّ الوعي في نفوس الناس، خطتها إصلاحيّة ووطنيّة مقاومة للفساد الاجتماعي والإداري مثل: جريدة "**المغرب العربي**" وجريدة "**الحق الوهراني** "و "**البلاغ الجزائري** " وجريدة "**الوفاق**" التي كانت تخدم العروبة والإسلام وكذلك جرائد أخرى مثل:"**المنتقد**"و"**الإصلاح**" و"**الشهاب**" و"**البصائر**". وقد طرأ تطور فكري على عقول الناس.

وكانت الجمعية غايتها الأساسيّة الإصلاح الدّيني وذلك في معالجته للقضايا الاجتماعية وهذا في سبيل إصلاح اجتماعي يحقق للأمّة غايتها في الصّلاح وذلك في قوله: "**أيّها**

[1]–أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج1، ص 282.

الإخوان: من الغلط أن يقال إنّ جمعية العلماء جمعية دينية يجب أن ينحصر عملها في الإصلاح الديني بمعناه الذي عرفه الناس ومن فروع هذا الغلط ما رماه به بعض مرضى العقول وصرعى الجهل من أنها خرجت عن مدارها حين زجّت نفسها في بعض شؤون الحياة غير الدين"[1].

ومن خلال هذا فإن "**الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي**" فإذا صلح المجتمع صلح الدّين كلّه ولهذا عملت الجمعية مند تكوينها على الإصلاحيين المتلازمين كما في قوله فإنه يبث بهذا في براعة وإحكام ارتباط الدين بالحياة الاجتماعية وشمول الإسلام ما يتعلق بحياة الإنسان.

وتبعا لقوله: "**ويرى لنفسه من العزة والقوة ما يرونه لأنفسهم وترتبط بينه وبينهم رابطة الأخوة والمساواة والمصلحة لا رابطة السيادة عليه والاستئثار دونه**"[2].

فالإنسان أخ الإنسان وهو الدّستور الذي ينظّمها، تربط بينهم أواصر الأخوّة والوحدة والمصالحة وبهذا تتحقّق المودّة بين الأفراد والجماعات.

وقد قال في خطبته: "**إنّ طبيعة الأوّلين لا تبدل إلا بعد تبدّل طبيعة الآخرين وإنّ الحقوق التي أخذت اغتصابا لا تسترجع إلا غلابا**"[3].أي أنّ الّذي يؤخذ بالقوة لا يسترجع إلاّ بالقوّة وأنّ أيّ شيء لا يأتي هكذا سدى دون عناء بل يأتي بالتّعب والشّقاء والقوّة، وقد اقتبس قوله هذا من قول الشاعر أحمد شوقي:

و ما نيل المطالب بالتمني* ولكن تؤخذ الدنيا غلابا**[4].

أي أنّ الإنسان لا يتمنّى شيئا ويبقى مكتوف اليدين بل أي شيء في الدنيا لا يأتي بالتمني وإنّما يأتي غلابا وبالاجتهاد والمثابرة وبأخذ الأسباب وتجاوز المعيقات والإرادة القويّة للوصول إليه.

---

[1]–أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 282، 283.

[2]–المصدر نفسه: ص283.

[3]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص283.

[4]– ديوان أحمد شوقي: دار صادر بيروت، ج1، (د.ت)(د.ط) ص60.

فالإصلاح بالنّسبة للجمعيّة أن تكون مسلما وتتّبع الإسلام وقواعده وتتبع ما جاء في القرآن الكريم من تعاليم وفروض وواجبات وبهذا نجحت الجمعية في إصلاح عقيدة الشعب الجزائري وتطهير نفوسهم وتعميق هويتهم من أجل النّزوع نحو الفضائل.

وظلّ الإبراهيمي يلقي خطبته في تفاعل حتى وصل إلى قوله: "**أصبح المنتسبون إلى الإصلاح ولو من العامة يخلصون لله في عباداتهم وإيمانهم ونذورهم وأدعيتهم، ونبذوا كلّ ما كانوا عليه من عقد فاسد أو قول مفترى أو عمل مبتدع في هذه الأبواب كلّها، وأصبحوا يفرقون بين السنة والبدعة والمشروع وغير المشروع ويعتقدون أن الإنسان مجزي بعمله رهن بكسبه**"[1].

فهل الإصلاح بمعنى الانتساب إليه أم العمل من أجله؟

فإن الإصلاح هو الانتساب للجمعية والعمل من أجل التّأثير في عقول أفراد المجتمع وتحفيزهم على العمل صوبه، وهذا من خلال نشر شروط بوادر الإصلاح وإلقاء الدروس والمحاضرات كما قال الإبراهيمي في خطبته.

هل الإصلاح عبارة عن خطب رنّانة فقط أم مشروع تربوي؟

يعتبر الإصلاح مشروع تربوي –أيضا– وليس مجرّد خطب رنّانة يلقيها الخطباء على المستمعين دون التّأثير فيهم بل إبعادهم عن كل عقد فاسد أو قول مفترى أوعمل مبتدع وهذا ما سعى وراءه المصلحين وما اتبعه المنتسبون للإصلاح فأصبحوا يفرقون بين الصالح والطّالح من الأعمال وكل مشروع وغير مشروع.

ولقد استطاعت الجمعية مواصلة نجاحاتها في الإصلاح وهذا من خلال القرآن الكريم بتمسّكها بكتاب الله وما جاء فيه وممّا جاء في هذا الصدد ما يلي: "**نجحت الجمعية أيضا في الفات الأمة إلى القرآن وفي جمعها عليه وحملها على التدبر في معانيه، لتأخذ منه كل نفس على قدر استعدادها وتستنير من عبره وزواجره ما يسوقها إلى الخير ويزعمها عن الشر حتى يكون المؤمن مسوقا بالقرآن مدبرا به**"[2].

فالإصلاح الديني مصدره القرآن فالإصلاح قام بتصحيح العقيدة وتربية المجتمع على التمسك بأصول الإسلام وبكتاب الله وسنة نبيّه، وقد أثر القرآن الكريم في العقول والنفوس والقلوب ومنع من كل ما يهدف إلى الفساد، فهو سبيل الهداية والأمن والاستقرار والسموّ

---

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي: المصدر السابق، ج1، ص 284.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 284.

عن الرذائل في قوله تعالى: ﴿**إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هي أقوم وبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجرا كبيرا**﴾[1](الإسراء 9).

كما نجد أنّ الجمعية نجحت في نشر سير عظماء الإسلام، يقول البشير الإبراهيمي في ذالك: "**نجحت الجمعية كذلك في نشر سير عظماء الإسلام اللذين قاموا بحمله ، واللذين قاموا بنشره، والذين قاموا بتمثيل هدية وتطبيق قواعده وأصوله في النفوس بالتزكية والتهذيب، وفي العقول بالتنويه والتأديب، وفي الأمم بالتعليم والرفق والتسوية، وفي الأرض بالتعمير والأمان وفي الحكم بالعدل والإحسان، وفي الملك بالعزة والقوة**"[2].

إنّ عظماء الإسلام ضحّوا بأنفسهم من أجل إصلاح الأمم بتزكيّة والتّهذيب وتنويه العقول وتعليمها وزرع الأمن والأمان والعدل والإحسان...إلخ.

وعلينا الاقتداء بهم و إتّباعهم لأنّهم معالم طريق هداية وإصلاح وذلك في غرار قوله: "**وإنّ سيرة الواحد من هؤلاء لهي الإسلام كاملا مجسما، وإن مثال هؤلاء الرجال هم الذين علينا أن نجلو سيرتهم على الناس ونتلو أخبارهم وتنقصاها ونحمل أنفسنا على الاقتداء بهم وتأثر خطاهم في كل شيء والنفوس تؤخذ بالجبلة والطبع، وان أمثال هؤلاء هم عماد التاريخ الإسلامي الذين تبذل الجمعية جهدا غير قليل في إحيائه بهذا الوطن...**"[3]

وهذا لأنّهم كانوا السّبب في رجوع الأمم على ما كانت عليه سابقا وتخطّي محنتها من الضّلالات والخراب إلى النور والعمار لهذا يجب ذكرهم على كل لسان في تاريخنا الإسلامي لأنّهم له وهذا ما كرّست الجمعية مجهوداتها من أجله وعلينا التأسّي بهم لأنّهم:

- معالم طريق هداية وإصلاح.
- لأنهم نيران الحق واليقين.
- لأنهم كانوا السبب الوجيه في عدول الأمة على ما كانت عليه من ضلال وجهل وخرافات إلى طريق هداية وإصلاح.

وإن من العجيب والغريب أن الأمم الإسلامية منها من مازال يذكر تلك الأسماء التي نالت حظا من الشهرة وتقديسها رغم أنها غير معنية بالإصلاح وفي ذلك من خلال

---

[1]– سورة الإسراء، الآية 9.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي:المصدر السابق، ص 285.

[3]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 285.

قوله:"**ومن العجيب إن الأمم الإسلامية- وهي أغنى الأمم في باب الأسماء العظيمة كانت وماتزال الكثرة منها تختفي بأسماء نالت في جنون من الدهر وعريده من التاريخ واضطراب في العقل-حظا من الشهرة بما لا يشرف قدرا ولا يعلى منزلة ولا يثير ذكرى حية، وأفاضوا على هذه الأسماء صيغة من التقديس وجعلوها معاقد لإيمانهم وإعلاما لولادتهم.**"[1]

ولقد نجحت الجمعية-أيضا-ولم تنس مسألة هوية اللّغة العربية وقال البشير الإبراهيمي في هذا السّياق من خلال خطبته: "**ونجحت الجمعية -أيها الإخوان- في إلفات الأنظار إلى شيء لم يكن بيننا منسيا، إن كان مجفوا وهو هذا اللسان العربي الشريف الذي هو قطعة من كياننا التاريخي وشرط أساسي لوجودنا القومي وشهادة قاطعة بصحة نسبنا الديني ونسبنا الجنسي.**"[2]

فالجمعية هنا اعتبرت اللغة العربية هي جزء لا يتجزّأ منّا يجب المحافظة عليها وتحصينها فقد ربطت الجمعية اللّسان العربي بالكيان والهوية لأنّ الكيان التّاريخي للشعب الجزائري وهويته لها صلة وثيقة باللسان العربي فقد حافظت ولم تنس الجمعيّة اللغة العربية فلم تترك مجالا للمساس بها وبأصالة الشعب الجزائري وجنسه العربي ولغته الشريفة لغة القرآن الكريم.

وقد صرّح البشير الإبراهيمي على مشكلة الانتساب وعلاقاتها بالعرب والتاريخ وهذا في قوله: "**وإن من العار الفاضح أن يفخر الواحد منا بانتسابه إلى العرب ، وقد أشرفت هذه اللغة الشريفة على الاضمحلال بهذه الديار لولا أن تذاكرها جمعية العلماء وأخذت بيدها وانتشلتها من الحضيض الذي وصلت إليه.**"[3]

فالعربي الحقيقي هو الذي يكون عارف بلغته كي يكون انتسابه للعرب والعروبة الحقيقية ويكون عارف بتاريخه، وقال أن اللغة الشريفة لولا الجمعية لانتشلتها يد الاحتلال إلى الحضيض وهذا الاشتداد شراسته ومبالغته في محاربة وتسوية وطمس اللغة العربية ومحاربة الدين الإسلامي والتمكين للتخلف الذهني والشعبذة لدى الناس.

---

[1]- المصدر نفسه: ص 285.

[2]- أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 285-286.

[3]-المصدر نفسه: ص286.

ولقد استطاعت الجمعية أن تصل إلى هدفها المنشود ألا وهو إصلاح عقيدة الشعب وتنقيتها من الخرافات والشّعوذة والدّجل والبدع وتطهيرها من مظاهر التّخاذل والتّواكل والخوف إلاّ من الله عز وجل والكفاءة من التنمية وتعليم العزة الإسلامية وكرامة النفس.

ويبيّن ذالك من خلال قوله: "**وبأنّها نجحت في دعايتها إلى العلم النافع الصحيح وفي دعايتها إلى العلم النافع الصحيح وفي دعايتها إلى الإسلامية الحقيقية –وبأنها انتصرت في حملتها على الخرافات والأوهام والدجل وانتصرت أو كادت في حربها للجمود والعوائد الضارة والتقاليد السخيفة– وبأنها أفلحت في تربية الأمة على عدم الخوف إلا من الله والرهبة إلا منه...وفي تحبيب الدين وشعائر الدين إلى طوائف من الشباب المهمل وإشرابهم معنى العزة الإسلامية وكرامة النفس**"[1].

وإذا عدنا إلى النزوع الأخلاقي فالبشير الإبراهيمي يقول في هذا الصدد:"**وإذا رجعنا إلى الأخلاق،أيها الإخوان، وجدنا نجاح الجمعية ظاهرا في جمهرة من الأخلاق الفاضلة غرستها في نفوس الأمّة الجزائرية، فجمعية العلماء هي التي علمت الأمة خلق التضحية في الصالح العام ،وخلق الصبر عليه ومطاولته وخلق القصد في الاعتقاد والتفكير خلق الاعتماد على النفس،وخلق الصراحة في القول والجرأة في الرأي والكلام إلى ما يتصل بهذه الأخلاق من فروع ولوازم.**"[2]

فقد قامت الجمعية بترقية الشعب من وهنة الجهل والسّقوط الأخلاقي إلى أوجّ العلم ومكارم الأخلاق في نطاق دينها الحق وبهداية نبيّنها الأميّ ليتمّ مكارم الذي بعث ليتمّم مكارم الأخلاق صلاة الله عليه وآله وصحبه أجمعين، وعلّمت الجمعية الأمة الجزائرية الصّبر إلى غير ذلك من الأخلاق التي غرستها الجمعية في نفوس شعبها.

واستعمل البشير الإبراهيمي من خلال خطبته كلاما فقال:

" **أيّها الإخوان: إنّ أغرب ما يؤثر عن جمعيتكم بل هو أول ما نجحت فيه هو إثبات وجودها في وقت كانت تتناثر فيه الجمعيات كحب الحصيد ،وتتهاوى المشاريع كأوراق الخريف، والاحتفاظ بتوازنها في طريق غاصّ بالعواثير، وتسييرها لسفينة الحقّ في بحر**

---

[1]–أحمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1،ص 286.

[2]– المصدر نفسه: ص 286.

مضطرب الأمواج وثباتها في وجه الباطل في وقت تكالب فيه الأعداء وتخاذل الأولياء، فهنا العبرة البالغة للمعتبرين، وهنا الموضوع الخصيب للباحثين المستنتجين."[1]

عبّر هنا عن مدى نجاح الجمعية رغم المضايقات الشّديدة من طرف الاحتلال وتحقيق النّجاح الكبير في تصحيح عقائد الجزائريين وتطهيرها من شوائب الشّرك والرجوع بهم إلى منابع الإسلام الأصليّة،وكتاب الله وسنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يستنيرون بها في دينهم ودنياهم، مقدّمة لهم العلم النّافع، فالتفّ حولها الشّعب وآزرها وأيّدها في وقت كانت تتناثر فيه الجمعيات كحب الحصيد كما قال رجل العلم الذي ساهم في هذه الجمعية المباركة.

أما في ختام خطبته فقد أوجز فيها جلّ كلامه وقد كان منتقدا لذاته ولآثار الجمعيّة في عرض خطبته وهذا في قوله:"**أيّها الإخوان: هذه لمحات مقتضيه غير مرتبة ولا متناسقة من آثار جمعيتكم قصصناها عليكم إدلالا بالعمل، فهو في ذاته قليل، ولا افتخارا بالنتائج فوراءها ماهو أكمل منها وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا**"[2].

فهو هنا غير مقتنع بما قاله في أثار الجمعية ويرجو أن تبلغ الكمال وتصل إلا عظائم الأعمال.

وإنّ البشير الإبراهيمي في ختامه لخطبته تحدث عن الإقدام والاتحاد وهذا في قوله: "**وقد فزعت بالأمس فهببتم هبة رجل واحد كلكم يذود وكلكم يحمي،وإن لهبتكم تلك المعنى عرفه أعداء الجمعية فأطرقوا**"[3].

فمن وراء كلامه يعبّر عن رجالات الجمعيّة فكانوا رجلا واحدا متّحدين عازمين للوصول إلى المبتغى المرجو مع الأجيال.

وقد تحدّث عن مسألة الامتداد والتّواصل في قوله:"**فهل أنبئكم أن تلك الهيئات هي الامتداد التي تمتد الجمعية بالحياة والبقاء والبركة والنماء.**"[4]

---

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج1،ص 286.

[2]– المصدر نفسه: ص 287.

[3]– المصدر نفسه: ص 287.

[4]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج1، ص 287.

فبالتّواصل فيما بينهم يمدّ الجمعية في عمرها وبقائها ويزيدها بركة ونماء، فالخطبة إصلاحية ذات تفكير موضوعي منهجي واضح، وتحليل منطقي مقنع وعنيف في مواجهة الخصم، لكن فيها من الحكمة في الإبلاغ والوعظ والنّصيحة وهذا ما أدّى بها إلى نجاحها والوصول إلى قلوب وعقول ونفوس الشّعب الجزائري وإخراجه من الظّلام الّذي كان فيه.

ثانيا: الأسلوب

لقد تميّز أدب البشير الإبراهيمي بالثّراء الفنّي والتنوّع في الموضوعات والقضايا المختلفة إضافة إلى أصالة الجذور فهو الذي حفظ المتون وهضم التراث والقرآن الكريم، فانطبع أسلوبه بالطّابع الإسلامي البحث، وعصرنته للمضامين من قلب المجتمع الجزائري ومهارته في سبك الأساليب ورصانتها.

إنّ الباحث في أدبه تستوقفه العديد من المحطّات الخصبة سواء على مستوى اللغة أوعلى مستوى الأسلوب أو على مستوى التّصوير، والذي يقرأ للبشير الإبراهيمي يجد نفسه أمام أسلوب كأنه أسلوب فحول البيان العربي في أزهى عصوره، مع كثير من التميّز والأصالة والإبداع.

أسلوب يتميّز بالخفّة والأناقة، والقوّة والرّصانة، فيه جزالة الألفاظ وقوّتها، وتناسق العبارات وتجانسها وتآلفها، وكرم المعاني، وعلوّها وتألّقها، وأصالة اللّغة وفصاحتها وفخامتها.

وذلك على غرار قوله في خطبته "الإصلاح الديني لا يتم بالإصلاح الاجتماعي": "**ولقيت من العوارض والعوائق ما ذللته العزائم ومهدته الهمم...لرأيتم معنى عاليا من معاني الحفاظ الكمينة في هذه الأمة الفقيرة إلا من الشرف والعزلاء إلا من العزائم ... ولكن الله سلم وألهم الرشد فأريناهم كيف يكون الصبر في الشدائد وكيف يكون التنبيه للمكائد، وأذقناهم مرارة الخيبة وغصص اليأس وكنا نحن الفائزين**"[1].

ومن مظاهر أسلوب البشير الإبراهيمي، كذلك التأنّق والتفنّن ومثال ذلك قوله: "**أما وقد تمّ كلّ ذلك فقد وجب أن نقف على رأس هذه الأعوام الخمسة ونستعرض الأعمال التي تمت فيها على يد الجمعية استعراض المعبر بماضيه وحاله، الموازن بين أعماله وآماله، المستبصر في مبادئه ومصائره المغتبط بما قدم من صالح، وإن قلّ، المستشرف للعظائم وإن هالت وجلت.**

نقف لا لنعدّ الأيام والشّهور، ولكن لنعدّ الأعمال ونزن الأعمال بآثارها وترى إلى أيّ حدّ في النجاح وصلنا، وعلى أية درجة في الإصلاح حصلنا"[2].

فنحن نلاحظ في هذه القطعة مقدار حرص الإبراهيمي على التأنّق في الشكل والتفنّن في الصّياغة، بالتزامه ما لا يلزم من الإيقاع، ولكنّنا لا نرى في المعاني وفخامة ورصانة في الأسلوب.

ونلحظ أثر الجهد باديا في هذا الأسلوب، فتارة محاولة اصطناع السّجع، هذا يؤكد خصوبة ملكته اللغوية وتبحره في أغوار اللغة العربية، بل وقدرته العجيبة على توليد المعاني والألفاظ وجعلها منسجمة تسير على وتيرة واحدة، وتارة أخرى في محاولة تكرار الحال وتعدادها في صدر النص، وطور بالإلحاح على المعنى الواحد بالألفاظ الكثيرة كما جاء في قوله:

"**وإنّ الأعمال التي يريدها هؤلاء من الجمعية ويصح إطلاق اسم الأعمال عليها في عرفهم، مدارس عديدة تشاء، ودروس مختلفة تلقى، وأموال طائلة تجمع، ومرتبات**

---

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 281.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي: أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 281، 282.

ضخمة تفاض وبعثات علمية تنظم، ومشاريع علمية تؤسس، وصحف متنوعة تنشر، ودراسات منظمة تذاع في الأمة، ومواقف خالصة تنجلي عن قوة القوي وضعف الضعيف."[1]

فمعظم هذه الجمل متساوية في الألفاظ، متشابهة في الفواصل، واصطلاح الجمل القصار، والإلحاح على المعنى الواحد بألفاظ كثيرة.

كما يستخدم ألفاظ أنيقة غالبا، ينتقي الألفاظ الفخمة، للمعاني الضخمة،ليضفي على خطبته هالة من الإجلال والإكبار حتى يقنع سامعيه ومتلقّيه بجديّة الموقف وعظمة الأمر، ويتضح ذلك في قوله: "**ويا الجاهلين، أيريدون من كلمة الإصلاح أن نقول للمسلم قل: لا إله إلا الله مذعنا طائعا وصل لربك أواها خاشعا، وصم له مبتهلا ضارعا، وحج بيت الله أوابا راجعا، ثم كن أواها خاشعا، وصم له مبتهلا ضارعا، وحج بيت الله أوابا راجعا، ثم كن ما شئت نهبه للناهب وغنيمة للغاصب، ومطية ذلولا للراكب، إن كان هذا ما يريدون فلا ولا قرة عين**"[2].

كذلك عبّر عن التّهويل والتّنظيم والتّفخيم والتّقديس والتّهييج، ما هو واضح وباد في قوله: "**وإن سيرة الواحد من هؤلاء لهي الإسلام كاملا مجسما، وإن أمثال هؤلاء الرجال هم الذين يجب علينا أن نجلو سيرهم على الناس ونتلو أخبارهم وتنقصاها ونحمل أنفسنا على الاقتداء بهم وتأثر خطاهم في كل شيء، والنفوس تؤخذ بالاحتذاء والمحاكاة أكثر مما تؤخذ بالجبلة والطبع، وإن أمثال هؤلاء هم عماد التاريخ الإسلامي، الذين تبذل الجمعية جهدا غير قليل في إحيائه بهذا الوطن**"[3].

ولو حاولنا أن نستنتج شيئا من هذه الخصائص الفنيّة العامّة ونبحث عنها في خطبة البشير الإبراهيمي "الإصلاح الديني إلا بالإصلاح الاجتماعي" لما ألفيناها تندّ عن هذا أوتشذ، فاللّغة أنيقة عالية، والأسلوب جميل صقيل، والمعاني فخمة ضخمة في الغالب، وكان الاقتباس من القرآن الكريم باد من خلال كلامه، وألفاظه كذلك كلمات من الأبيات الشعرية المشهورة في الأدب العربي، وهكذا لا حظنا بروز هذه الخاصيّة المتمثّلة في

---

[1]– المصدر نفسه: ص 282.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي: أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 283.

[3]– المصدر نفسه: ص 285.

التأنق في الأسلوب من خلال هذه الخطبة فلعلّ فيما استشهدنا به ما يعطينا صورة صغيرة واضحة عن هذه الخاصيّة الفنية.

ثالثا: اللغة

لغته خطابيّة، تكاد تكون ملازمة للبشير الإبراهيمي في كل نتاجه الأدبي، إذ تتحكّم فيها مواقفه وآراءه وشخصيته، فهو رجل إصلاح، فالكاتب كي يستطيع إيصال أفكاره للجمهور لابدّ لمثل هذا اللّون اللّغوي، لذا تغلب كثيرا على أدبه، وقد اتصف به الأدب العربي الحديث في الجزائر من نزعة تعليمية واضحة، والتعليم أو النصح أو التربية أوالتوجيه، وهي ألفاظ ذات معان متقاربة، أمور لا تتمّ بدون اصطناع لهجة خطابية معينة.

والحق أنّ الباحث لا يكاد يقرأ مقالة من مقالاته أو رسالة من رسائله، أو خطبة من خطبه، دون أن يعدم فيها هذه اللّهجة الخطابية المتمثلة في روح الكلام أطوارا، وفي ألفاظه أطوارا أخرى.

ولنضرب لذلك أمثلة لتدعيم رأينا لما قال البشير الإبراهيمي في خطبته المدروسة:

" **أيّها الإخوان: أما قد تجاوزت جمعيتكم خمس مراحل من وجهتها الموفّقة**"[1].

"**إنّنا -أيّها الإخوان- لا نزن الأعمال بما هي عليه في أنفسنا ضخامة و ضؤولة، وإنما نزنها بآثارها المنبعثة منها المترتبة عليها**"[2].

وقال:" **إنّني- أيّها الإخوان- أحاول في موقفي هذا أن أقص عليكم طائفة من الآثار المشهودة والغايات المحمودة التي وصلت إليها جمعيتكم في بضع سنين**"[3].

---

[1]- أحمد طلب الإبراهيمي: أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 282.

[2]- المصدر نفسه: ص 282.

[3]- المصدر نفسه: ص 282.

وقال مرة أخرى:" **أيّها الإخوان: من الغلط أن يقال إنّ جمعية العلماء جمعية دينية يجب أن ينحصر عملها في الإصلاح الديني بمعناه الذي عرفه الناس**"[1].

وكان كذلك في قوله: "**ونجحت الجمعية –أيها الإخوان– في إلفات الأنظار إلى شيء لم يكن بيننا منسيا**"[2].

" **أيّها الإخوان: إنّ جمعيتكم تفخر بأنها نجحت في جمع طوائف عظيمة من الأمة الجزائرية على الحق بعد أن كانت كلها متفرقة على الباطل**"[3].

" **أيّها الإخوان: إنّ أغرب ما يؤثر عن جمعيتكم بل هو أول ما نجحت فيه...**"[4].

" **أيّها الإخوان: هذه لمحات مقتضيه غير مرتبة ولا متناسقة من أثار جمعيتكم صغناها عليكم لا إدلالا بالعمل**"[5].

فهو من خلال كلامه كرر لفظه "**أيّها**" مرات عدّة من أول خطبته إلى آخرها دلالة على النّداء وهذا لتأكيد كلامه وإيضاحه وللإقناع والتأثير في المتلقي ولهذا اهتم بالتّأنق في تأليف العبارة وتنسيقها والاهتمام بالألفاظ.

أحسن نموذج للكتابة التي تتجلى فيها اللهجة الخطابية، كأبرز وأقوى مانرى في كلامه وهو يخاطب الحاضرين في قوله: "**نقف لا لنعد الأيام والشهور، ولكن لنعد الأعمال ونرن الأعمال بأثرها ونرى إلى أي حد من النجاح وصلنا وعلى أية درجة في الإصلاح حصلنا.**

إنّنا –أيّها الإخوان–لا نرن الأعمال بما هي في أنفسنا ضخامة وضؤولة، وإنما نزنها بأثرها المنبعثة منها المترتبة عليها"[6].

وقوله مرة أخرى: "**أيّها الإخوان: من الغلط أن يقال إن جمعية العلماء جمعية دينية**

تحب أن ينحصر عملها في الإصلاح الديني بمعناه الذي عرفه الناس"[1].

---

[1]– المصدر نفسه: ص282.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 285.

[3]– المصدر نفسه: ص 286.

[4]ـــ المصدر نفسه: ص 286.

[5]– المصدر نفسه: ص 287.

[6]– المصدر نفسه: ص 282.

فهذا يثبت أنّ البشير الإبراهيمي كان يصطنع لهجة خطابيّة، ولكنّها غير مملّة ولا ثقيلة، لأنّ أسلوبه القوي المتحرّك، المتلوّن من حال إلى حال من البيان، إلى حال أخرى، من فترة إلى أخرى –أيضا–، كلّ أولئك مثّلت أمور جعلت هذا الأسلوب الذي يمثل مذهبا فنيا في الكتابة، حصانا من السماجة و الرّتابة، هذه اللّهجة الخطابية الّتي كانت ملازمة له في أحوال كثيرة، ورغم ما فيه أحيانا من أسجاع وبديع.

وإنّ خاصية الخطاب تبدوا بوضوح وقوة، إلاّ في كتابات البشير الإبراهيمي لأسباب أهمها:

- أنّ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي كان سيّد كتاب العربية في الجزائر، لاسيما فيما بعد الحرب العالمية الثانية، حتى نهاية هذه الفترة.
- أنّه كان خطيبا من الطّراز الثاني.
- أنّه كان يعتبر نفسه أبا للجميع، بحكم السنّ، والعلم، والسّابقة في النّضال الفكري، والأديب يخاطب أبناءه بلهجة المرشد المربّي، والمعلّم الموجّه، ومن كان كذلك لم يخل كلامه من صفات الخطابة، ولم تعدم كتاباته خاصية اللهجة الدّاعية، المتحمّسة الّتي يصحبها النّداء في كلّ العبارات التي تصلح للخطاب.

وإنّ البشير الإبراهيمي عمل على سبك المعاني وإخراجها في لفظ جميل وأسلوب بليغ والتّنويع في أساليب التّماثل والسجع أضفى على الخطبة جوّا موسيقيّا جميلا متنوعة الإيقاع لا تحسّ معها بالملل، فالهدف من الخطبة الدّعوة إلى الوحدة العربية، بتحريرها من يدي الصّهاينة المثالي لذا اتخذ من النزعة الخطابية لشحذ الهمم وإيقاظ الضّمائر العربية لإصلاح الواقع، لأن الموقف يتطلب السرعة، اعتمد على الجمل القصيرة ذات المعاني الموجزة.

رابعا: التصوير

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 282.

التّصوير ركن أساسي من أركان الأدب، وإجادته آية الشّاعرية والإبداع، وإيّما عمل أدبي يخلوا من هذا الجانب يفقد الكثير من الحيوية والجمال، ويغدو أقرب ما يكون إلى الكلام العادي.

والتّصوير ليس خاصية مقصورة على الشّعر، إنّه موجود في النّثر كذلك بل يمكن القول إن بعض النثر يكون على مقدار من جمال التصوير وروعة الخيال وحيوية الإيحاء، يصير به أغنى وأجمل وأبلغ تأثيرا من كثير من النّماذج الشعرية، والتصوير في خطبته البشير الإبراهيمي خاصية بارزة، وقدرته عليه قدرة فائقة، "تنبئ عن قوة مخيلته، وتحركها الدّائب المبدع بين عناصر الوصف"[1].

ومن سمات هذا التصوير ما جاء في خطبته المدروسة في قوله: "**أيّها الإخوان: أما وقد جاوزت جمعيتكم خمس مراحل من وجهتها الموفقة، وسلخت خمس سنوات من عمرها العامر بالصالحات**"[2].

فهي كناية عن نتاج الجمعية في وجهتها الموفّقة في مدّة خمس سنوات من تأسيسها، وشبّه الجمعية بإنسان في قوله: "**وقطعت خمسة أشواط في مبدئها الذي عاهدت الله على أن تبلغ غايته أو تموت في الدفاع عنه والنضال من دونه، ولقيت من العوارض والعوائق ما ذللته العزائم ومهدته الهمم**"[3].

فهو في هذه الفقرة شبّه الجمعية بإنسان عاهد الله أن يبلغ غايته أو يموت في الدفاع عن الوطن على سبيل الاستعارة المكنية فكانت مثالا عن التّشخيص والتّجسيد ليسهل على المتلقي استيعاب مبتغاه.

ومثلها في قوله: "**إلى أن كانت الحادثة الأخيرة التي ظن مدبروها أنها القاضية على الجمعية والخانقة لأنفاسها والفوضة لها من أساسها، فكانت عليها كنار الخليل بردا وسلاما**"[4].

حيث شبّه الحادثة الأخيرة والجمعية بشخصين يقتل أولهما الثاني فاعتبروها القاضية على الجمعية والخانقة لأنفاسها.

---

[1]– شكري فيصل: قضايا الفكر في أثار الإبراهيمي، مجلة الثقافة، ع 87، 1985م، ص 281.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 281.

[3]– المصدر نفسه: ص 281.

[4]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، ص 282

من خلال هذا نرى أن التّشبيه أدّى دورا كبيرا في خطبته البشير الإبراهيمي، إذ يأخذ حيّزا كبيرا في تحميل وتوشيح نتاجه، فهو يعدّ بحق: "أديبا مهتاج العلم فنّانا ويبدع في تركيب البيان العربي في أسمى صوره"[1].

وهو عندما يريد تصوير رأي النّاس في أعمال الجمعية فيبالغ في التشبيه بين صورة واقعية هي صورة أعمال الجمعية وصورة متخيلة هي صورة عود الكبريت أو خيط الكهرباء فيقول: "**وما أوتوا-عافاهم الله- إلا من غفلتهم من أثار الأعمال ونسيانهم أن من الأعمال ماهو كعود الكبريت جسمه ضئيل وأثره جليل أو كخيط الكهرباء جوهرة دقيق وعملة عظيم**"[2].

فهو هنا شبه أعمال الجمعية وآثارها بعود الكبريت، الذي هو صغير لكن إذا ما اشتغل فهو يفعل العجائب إذا آثارها جليلة وكبيرة، أو كخيط الكهرباء فهو دقيق لكنّه يفعل أشياء عظيمة فالجمعية عظيمة رغم عدم بيانها من قبل الناس.

وأحيانا يرتقي التصوير سلّم المبالغة، فيأتي غاية في الجمال فهو مثلا يمثل الظروف السياسيّة التي تكوّنت فيها الجمعية فيأتي بصورة لا يمكن أن تتحقّق في عالم الواقع، ولكنّها تمثل أدقّ تصوير للفكرة وأبلغ تعبير عن الغرض فيقول: "**ولو ذكر هؤلاء الأمة الجزائرية في طورها الحاضر ووضعها الحاضر، وذكروا كيف تساس القوانين الّتي بها تساس، وذكروا الجمعية وأنها تكونت في ليل من السياسة غاسق وجو من مكائدها قاتم**"[3].

فهو يصوّر قساوة الوضعيّة السياسيّة في ذلك الوقت الذي تكوّنت فيه الجمعية بليل غاسق ومكائدها بجوّ قاتم.

إنّنا نرى في هذه القطعة زيادة على إيقاعها الرائع وما فيها من المقابلات الجميلة، كثافة في الصور ودقّة في التّصوير، فكلّ ما يشغل البشير الإبراهيمي فردا وأمّة عبّر عنه وصوّره من خلال قوله:"...**ليبنوا حاضرهم الخرب على ماضيهم العامر**"[4].

---

[1]- عبد الملك مرتاض: الموسوعة التاريخية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية سنة 1984 م، ص83.

[2]- أحمد طالب الإبراهيمي، المصدر السابق، ج1، ص 282.

[3]- أحمد طالب الإبراهيمي: أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي, ج1، ص، 282.

[4]- المصدر نفسه: ص285.

ويتّخذها كأداة لصبّ جامّة غضبه ونقده والهجوم على الخصم بإبراز حقيقته بأسلوب لاذع وهذا من أجل الإسلام لإحيائه في هذا الوطن.

ننتقل إلى نموذج آخر وأخير، لنكشف أسلوبا آخر من أساليب التّصوير المركّب، وفيه "نلمح الصّورة وهي تنموا مرحليا فكــأنّ كلّ عنصر لبنة تنضاف إلى البناء، حينما تقرأ مفرداته بتمعن (و) كلّ عنصر يشير إلى نواحي الصّورة"[1].

يصوّرها البشير الإبراهيمي مصوّرا الجمعية في نجاحها فيقول: "**أيّها الإخوان: إنّ أغرب ما يؤثر عن جمعيتكم بل هو أول ما نجحت فيه، هو إثبات المشاريع كأوراق الخريف، والاحتفاظ بتوازنها عن طريق غاص بالعواثير، وتسيرها لسفينة الحق في بحر مضطرب الأمواج، وثباتها في وجه الباطل في وقت تكالب فيه الأعداء وتخاذل الأولياء، فهنا العبرة البالغة للمعتبرين، وهنا الموضوع الخصيب للباحثين المستنتجين**"[2].

فهو هنا صوّر مدى نجاح الجمعيّة رغم المضايقات الشّديدة، فصوّرها بحب الحصيد عندما يتناثر وأوراق الخريف عندما تتهاوي وصوّر الجمعيّة بسفينة الحقّ والمستدمر بالبحر المضطرب الأمواج.

---

[1]– بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي، ص 131، نقلا عن عبد الملك بومنجل: النثر الفني عبد الإبراهيمي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، جوان2009م، ص 106.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي: المصدر السابق، ج1، ص 286.

خاتمة

خاتمـــة

بعد دراسة أدب الإبراهيمي و إصلاحاته توصلنا إلى جملة النتائج:

1- أنّ الإبراهيمي رجل إصلاح و أديب فذ، سخّر أدبه و فكره في سبيل مواجهة الاحتلال و تحرير عقول النّاس لهذا تبنى الفكر الإصلاحي للمجتمع هادفا من ورائه تشكيل مجتمع جديد فعالج مختلف القضايا بفكره و قلمه، فكان النزوع الإصلاحي طاغيا فاتخذ البعد الاجتماعي ثورة على الأوضاع الاجتماعية للأمة حيث عالج قضية "الزواج"، أما البعد السياسي فغايته تصوير الحياة الثائرة في الجزائر و اتخذه لمبارزة الخصم، وإذا رجعنا إلى البعد الفكري فمن ورائه عالج المسائل المتعلقة بالشّخصية الجزائرية و تثبيت أصالتها و تحديد مقوماتها و كانت اللغة العربية أهم قضاياه التي شغلت فكره، أما البعد الديني فتجلى في الإصلاح الديني لتحرير العقول من الأوهام والضلالات و الخرافات.

2- اتخاد الخطابة الوسيلة للاتصال بالشعب لنشر الوعي، أخدت الخطابة الدينية الحظ الأوفر نظرا لتردي الوضع الديني في الجزائر و كانت السلاح الوهاج لتصحيح العقيدة، أما الخطابة الأدبية فتعالج قضايا الفكر و الثقافة و الأدب معا، و إذا جئنا إلى الخطابة السياسية قليلة جدا فكان يفضح سياسة الاستعمار في هضم حقوق الشعب.

3- كما أخدت المقالة حصة الأسد في أدبه، فتنقسم إلى سياسية، اجتماعية، أدبيه، دينية، ففي السياسة اهتم بقضايا الشعب الجزائري وما عاناه من جسامة عذاب الاحتلال، أما المقال الاجتماعي عالج فيه قضايا و مشكلات المجتمع المستمدة من روح الواقع ومحاربة الانحلال الخلقي، و المقالة الأدبية اهتم فيها بالفكرة، و اعتنى بالصياغة والتعبير عن العاطفة مثل: "تحية غائب كالآيب" و "مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة" بأسلوب علمي متسلسل الأفكار. كما تمتاز المقالة الدينية بأسلوب خطابي ترهيبي، ثائرا على الطرفين، ارتبطت بقضية الدين و بمسألة النهوض بالوطن و توعية الضمير و العقل.

4- جماليات الخطبة و النّبرة الخطابية التي دفعتنا إلى التخيل أننا أمام حكيم من الحكماء أو خطيب من خطباء العرب الكبار، وهذا لتميز أسلوبه بالطابع الإسلامي الخالص

وعصرنته للمضامين من قلب المجتمع الجزائري، أسلوبه كأنه أسلوب فحول البيان العربي في أزهى عصوره، أما اللغة لغة خطابية من لفظ جميل و أسلوب بليغ و تنويع في أساليب التماثل والسجع، أما التصوير ركن أساسي من أركان أدبه فبه يصير أغنى و أجمل و أبلغ تأثيرا.

قائمة المصادر
و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم رواية ورش عن نافع

أ- المصادر:

1- أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 (1997م).

2- ديوان أحمد شوقي: دار صادر بيروت، ج1 (د.ت) (د.ط).

ب- المراجع:

1- ابراهيم مهديد: الدور الإصلاحي والنشاط السياسي للشيخ محمد البشير الإبراهيمي على نهج جمعية علماء المسلمين الجزائريين (1431هـ-1944م)، دار قرطبة للنشر والتوزيع، المحمدية- الجزائر، ط1 (1433هـ-2011م).

2- أبو القاسم سعد الله: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في قلب المعركة (1954م-1964م) شركة الأئمة للطباعة والترجمة والنشر- الجزائر (د.ط) 1994م.

3- بوالصفصاف عبد الكريم: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931م-1945م)، دار البعث-الجزائر، ط1 (1401هـ-1981م).

4- تركي رابح عمامرة: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931م-1956م) ورؤساؤها الثلاثة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية-الجزائر، ط1 (1425هـ-2004م).

5- الشيخ عبد الحميد بن باديس: رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. ط1 (د.ت).

6- صالح خرفي: محمد العيد آل خليفة، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ورشة أحمد زبانة- الجزائر (د.ت) (1986م).

7- عبد الملك بومنجل: النثر الفني عند الإبراهيمي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 (جوان 2009م).

8- عبد الملك مرتاض: الموسوعة التاريخية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية (1984م).

9- عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931م- 1954م) جامعة وهران-ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر، (يناير 1994م).
10- عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر (د.ط) (1993م).
11- محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، دار الأمة- الجزائر، ت-محمد بن البار، ط1 (2008م)، ج1 (1919م-1939م).
12- محمد البشير الإبراهيمي: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، نشر جمعية العلماء، دار الكتب- الجزائر، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة (1935م).
13- محمد الطاهر فضلاء: أعلام الجزائر، الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه الأول، مكتبة ومطبعة البعث، قسنطينة-الجزائر (د.ط) (1967م).
14- محمد طهارى: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الأمة- الجزائر، ط3 (2010م).
15- محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب قسم اللغة العربية- جامعة بغداد، العراق (1404هـ-1983م).

ج- الدوريات والمجلات:

1- زهور ونيسي: بعض من رؤية الإبراهيمي في الإصلاح الاجتماعي، مجلة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الطبع المتعددة، ورشة أحمد زبانة- الجزائر، ع87، س15 (1985م).
2- شكري فيصل: مجلة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الطبع المتعددة، ورشة أحمد زبانة- الجزائر، ع87، س15 (1985م).
3- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ج1(1971م).
4- عبد الحميد بن باديس: قصة الشهر، العامة المتعلمة، الشهاب، دار الغرب الإسلامي- الجزائر، المجلد السادس، ج11، س6 (1348هـ-1930م)، ط1 (1421هـ-2001م).
5- محمد البشير الإبراهيمي: (أنا) مجلة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون، وحدة الطبع المتعددة، ورشة أحمد زبانة، الجزائر، ع47(1985م).

6- محمد البشير الإبراهيمي: (أنا) مجلة مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ج21(1386هـ-1966م).
7- محمد البشير الإبراهيمي: الحقائق، جريدة البصائر-2-، دار الغرب الإسلامي-الجزائر، ع47، س1 (1367هـ-1947م).
8- محمد البشير الإبراهيمي: جمعية العلماء (أعمالها ومواقفها) جريدة البصائر، دار الغرب الإسلامي-الجزائر، ع2، ط1 (1 أوت 1947م).
9- محمد البشير الإبراهيمي: فلسطين، جريدة البصائر، دار الغرب الإسلامي-الجزائر، ع5، س1 (5 سبتمبر 1947م).

فهرس
الموضوعات

العنـــــوان	الصفحة
مقدمة	أ-ب
مدخل: جهود جمعية العلماء المسلمين في الإصلاح	
أولا: نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	5
ثانيا: مجالات جمعية العلماء المسلمين في الإصلاح	7
1- جهود الجمعية في المجال التعليمي	8
2- جهود الجمعية في المجال الديني	9
3- جهود الجمعية في المجال التهذيبي	10
4- جهود الجمعية في مجال الكتابة	10
الفصل الأول: البشير الإبراهيمي و فكره الإصلاحي	
المبحث الأول: نبذة من حياة محمد البشير الإبراهيمي	
المطلب 1: اسمه، نسبه، مولده	14
المطلب 2: حياته الدراسية و العلمية	
2_1: دراسته	15
2_2: رحلاته	16
2_3: نشاطه العلمي	18
المطلب 3: شخصيته و مكانته العلمية	19-21
المطلب 4: وفاته و آثاره	22-25
المبحث الثاني: النزوع الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي	

المطلب 1: دواعي النزوع الإصلاحي عند الإبراهيمي	27-26
المطلب 2: أبعاد النزوع الإصلاحي	
2_1: البعد الاجتماعي	28
2_2: البعد السياسي	30
2_3: البعد الفكري	31
2_4: البعد الديني	33
المطلب 3: تجليات النزوع الإصلاحي عند الإبراهيمي في نثره	
3- الخطابة	35
1_1: الخطابة الدينية	36
1_2: الخطابة الأدبية	36
1_3: الخطابة السياسية	37
4-المقالة	38
2_1: المقالة السياسية	38
2_2: المقالة الاجتماعية	39
2_3: المقالة الأدبية	40
2_4: المقالة الدينية	41
الفصل الثاني: أهم القضايا الإصلاحية في خطبة "الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي"	
أولا: الدراسة الفنية	44

ثانيا: الأسلوب	54
ثالثا: اللغة	57
رابعا: التصوير	60
خاتمة	65
قائمة المصادر و المراجع	68
فهرس الموضوعات	72